

الدكتور يوسف القرضاوي



التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا

« بمناسبة مرور ثلاثين عاما على
استشهاد الامام حسن البنا »



الناشر : مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - ت : ٩٣٧٤٧٠

الطبعة الثـــانية

ربيع الآخر سنة ١٤٠٢ هـ ـ فبراير سنة ١٩٨٢ م

مطابع
دار التراث العربي
ت ٩٣٦١٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيـــد

أرأيت الى الأرض الخاشعة الهامدة ، ينزل الله عليها المـــاء ، فتهتز وتربو وتحيا بعد موتها ، وتنبت من كل زوج بهيج !

كذلك كانت الأمة الاسلامية فى منتصف القرن الرابع عشر الهجرى ، وقبل ظهور حركة الاخوان المسلمين : دمرت الخلافة ، وهى آخر مظهر للتجمع تحت راية العقيدة الاسلامية ، ومزق الوطن الاسلامى شر ممزق بين براثن المستعمرين ، من بريطانيين وفرنسيين وغيرهم ، حتى هولندا التى لم تكن تتجاوز بضعة ملايين • كانت تحكم نحو مائة مليون فى أندونيسيا ! وعطلت أحكام الاسلام ، واتخذ القرآن مهجورا ، وسيطرت القوانين الوضعية والتقـــاليد الغربية ، والقيم الأجنبية على حيـــاة المسلمين ، وبخاصة الطبقة المثقفة منهم ، نتيجة لهيمنة الاستعمار الكافر على أزمة التعليم والتوجيه والتأثير ، فتخرجت أجيال ، تحمل أسماء اسلامية ، وعقولا أوروبية •

وانضم هذا الفساد الذى وفد مع الاستعمار الدخيل ، الى الفساد الذى خلقته عصور الانحطاط والتخلف ، فازداد الطين بلة ، والداء علة •

وشاء الله الذى تكفل بحفظ القرآن ، وبقاء الاسلام ، واظهاره على الدين كله ، أن يجدد لهذا الدين شبابه ، ويعيد لجسد هذه الأمة الهامد روحه وحياته من جديد • فكانت دعوة الاخوان المسلمين ، وكان **حسن البنـــا** مؤسس هذه الحركة « الكبرى » التى مضى عليها خمسون عاما تركت فيها « بصمات » وآثارا فى كل مجال وفى كل مكان ، داخل العالم الاسلامى وخارجه •

ولست أكتب هذه الصحائف مؤرخا لحركة الاخوان ومبلغ تأثيرها فى الحياة المصرية والعربية والاسلامية ، فهذا جهد ينوء به فرد مهما

تكن قدرته ووسائله • وانما هو واجب الجماعة الذى فرطت فيه حتى اليوم ، وان كانت الضربات المتلاحقة التى أصابت الجماعة فى كل العهود ، تجعل لها بعض العذر لا كله •

انما أكتب هنا عن جانب واحد من جوانب هذه الحركة الضخمة ، وهو : جانب التربية ، كما فهمه الاخوان من الاسلام ، وكما طبقوه •

ولست أحاول هنا الاستقصاء والاحاطة ، وانما أكتفى بابراز المعالم ، واعطاء الملامح ، التى تكفى لايضاح فكرة الجماعة عن التربية وجهودها فى ممارستها ، ونقلها الى واقع حى يتمثل فى بشر أحياء •

ولا يخفى على دارس أو مراقب أن حركة الاخوان تمثل — فى الدرجة الأولى — مدرسة نموذجية ناجحة للتربية الاسلامية الحقة ، وأن أهم ما حققته هو تكوين جيل مسلم جديد ، يفهم الاسلام فهما صحيحا ، ويؤمن به ايمانا عميقا ، ويعمل به فى نفسه وأهله ويجاهد لاعلاء كلمته ، وتحكيم شريعته ، وتوحيد أمته •

وقد ساعد على هذا النجاح جملة عوامل :

١ — ايمان لا يتزعزع بأن التربية هى الوسيلة الفـذة لتغيير المجتمع ، وبناء الرجال ، وتحقيق الآمال • وكان امام الجماعة الشهيد حسن البنا يعلم أن طريق التربية بعيدة الشقة ، طويلة المراحل • كثيرة المشاق • ولا يصبر على طولها ومتاعبها الا القليل من الناس • من أولى العزم • ولكنه كان يعلم كذلك علم اليقين ، أنها وحدها الطريق الموصلة ، لا طريق غيرها ، فلا بديل لها ، ولا غنى عنها • وهى الطريق التى سلكها النبى صلى الله عليه وسـلم ، فكون بها الجيل الربانى النموذجى الذى لم تر عين الدنيا مثله ، والذى تولى بعد ذلك تربية الشعوب وقيادتها الى الحق والخير •

٢ — منهاج للتربية محدد الأهداف ، واضح الخطوات ، معلوم المصادر ، متكامل الجوانب ، متنوع الأساليب ، قائم على فلسفة بينة المفاهيم ، مستمدة من الاسلام دون سواه •

٣ — جو جماعى ايجابى هيأته الجماعة ، من شأنه أن يعين كل أخ مسلم على أن يحيا حياة اسلامية عن طريق الايحاء والقدوة والمشاركة الوجدانية والعملية ، والمرء قليل بنفسه كثير باخوانه ، ضعيف بمفرده ، قوى بجماعته ، فالجماعة قوة على الخير والطاعة ، وعصمة من الشر والمعصية ، وفى الحديث : « يد الله مع الجماعة » ، « وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية » •

٤ — قائد مرب بفطرته ، وبثقافته ، وبخبرته • وهبه الله شحنة ايمانية نفسية غير معتادة ، أثرت فى قلوب من اتصل به ، وأفاض من قلبه على قلوب من حوله ، وكان أشبه بـ « المولد » أو « الدينامو » الذى ملأ منه الآخرون « بطاريات » قلوبهم • والكلام اذا خرج من القلب دخل القلوب بغير استئذان ، واذا خرج من اللسان لم يجاوز الآذان • فصاحب القلب الحى هو الذى يؤثر فى مستمعيه ومريديه • أما صاحب القلب الميت فلا يستطيع أن يحيى قلب غيره ، ففاقد الشىء لا يعطيه ، وليست النائمة كالثكلى •

٥ — عدد من المربين المخلصين ، الأقوياء الأمناء ، آمنوا بطريقة القائد ، ونسجوا على منواله ، أثروا فى تلاميذهم ، ثم أصبح هؤلاء أساتذة لمن بعدهم •• وهكذا •

ولست أعنى بالمربين هنا : خريجى المعاهد العليا للتربية ، أو حملة المـاجستير والدكتوراه فيها ، وانما أعنى أناسا ذوى « شحنة » عالية من الايمان ، وقوة الروح ، وصفاء النفس ، وصلابة الارادة ، وسعة العاطفة ، والقدرة على التأثير فى الآخرين •• وربما كان أحد هؤلاء مهندسا أو موظفا بسيطا أو تاجرا أو عاملا ، ممن لا علاقة له بدراسة أصول التربية أو مناهجها •

٦ — وسائل مرنة متنوعة ، بعضها فردى ، وبعضها جماعى ، بعضها نظرى ، وبعضها عملى ، بعضها عقلى ، وبعضها عاطفى ، بعضها ايجابى ، وبعضها سلبى ، من دروس الى خطب ، الى محاضرات ، الى ندوات ، الى أحاديث فردية ، ومن شعارات تحفظ ، الى هتافات تدوى ، الى أناشيد تؤثر بكلماتها ولحنها ونغمها •• ومن لقاءات دورية لمجموعات مختارة فى البيوت على القراءة والثقافة والعبادة والأخوة • سميت كل مجموعة

منها « أسرة » ايحاء بمعنى الألفة والمودة بين أبناء العائلة الواحدة ، الى لقاءات أخرى فى شعبة الجماعة غالبا ، موعدها الليل ، تتجدد فيها العقول بالثقافة ، والقلوب بالعبادة ، والأجسام بالرياضة ، وسميت هذه « الكتيبة » ايحاء بمعنى الجهاد ، الى غير ذلك من الوسائل والطرائق التى تهدف الى بناء الانسان المسلم المتكامل •

وكل تربية انما تتكيف بحسب الغاية منها حتى فى الحيوانات ، فالبقرة التى تربى للبن ، غير التى تربى للحم ، غير التى تربى للحرث •

وكذلك الانسان والتربية • فتربية الانسان الوجودى ، غير تربية الانسان الشيوعى ، وهما غير تربية الانسان البورجوازى ، أو الرأسمالى ، وكلها غير تربية الانسان المسلم • وتربية المسلم التقليدى غير تربية المسلم الايجابى •• تربية المسلم فى مجتمع يحكمه القرآن ، وتسيطر عليه تعاليم الاسلام ، غير تربية المسلم فى مجتمعات تصطرع فيها الجاهلية والاسلام ، ويتنازعها الكفر والايمان ، والتحلل والالتزام •

أجل •• ان تربية المسلم الذى يكتفى من الاسلام بالصلاة والصيام والذكر والدعاء ، واذا ذكر أمامه حال الاسلام والمسلمين اقتصر على الحوقلة والاسترجاع ، غير تربية المسلم الذى يغلى صدره غيرة على الاسلام ، كما يغلى القدر فوق النار ، ويذوب قلبه أسى على المسلمين كما يذوب الملح فى المـــاء • ثم يحول ذلك الأسى وتلك الغيرة الى قوة دافعة للعمل ، وانطلاقة باعثة على التغيير •

هذا هو المسلم المنشود ، الذى لا يستسلم للواقع بل يعمل على تغييره كما أمر الله ، ولا يعتذر بالقضاء والقدر ، بل يؤمن بأنه هو قضاء الله الغالب ، وقدره الذى لا يرد • انه المسلم الذى يعمل لاقامة رسالة ، وبناء أمة ، واحياء حضارة •

« رسالة امتدت طولا حتى شملت آماد الزمن ، وامتدت عرضا حتى انتظمت آفاق الأمم ، وامتدت عمقـــا حتى استوعبت شـــئون الدنيا والآخرة »(١) •

---

(١) من كلمات حسن البنا فى مقاله « من وحى حراء » بجريدة الاخوان المسلمون اليومية •

وأمة خصها الله بخير كتاب أنزل ، وأعظم نبى أرسل ، جعلها خير أمة أخرجت للناس ، وجعلها أمة وسطا فى كل شىء ، وأهلها للأستاذية والشهادة على الناس .

وحضارة ربانية انسانية عالمية أخلاقية ، جمعت بين العلم والايمان ، ومزجت بين المـــادة والروح ، ووازنت بين الدنيا والآخرة ، وحفظت للانسان خصائص الانسان ، وكرامة الانسان .

كانت تربية هذا المسلم هى المهمة الأولى لحركة الاخوان ، لأنه هو وحده أساس التغيير ، ومحور الصلاح والاصلاح . ولا أمل فى استئناف حياة اسلامية ، أو قيام دولة اسلامية ، أو تطبيق قوانين اسلامية ، بغيره .

وكان للتربية الاسلامية فى فهم الاخوان وتطبيقهم خصائص بارزة ، ومميزات ظاهرة أهمها : التأكيد على الربانية .. التكامل والشمول .. الاعتدال والتوازن .. الايجابية والبناء .. الاخوة والروح الجماعية .. التميز والاستقلال . وسنحاول هنا أن نخص كلا منها بحديث ، بقدر ما يتسع المقام .. وبالله التوفيق .

د. يوسف القرضاوى



الربانية

الجانب الربانى أو الايمانى فى التربية الاسلامية كما فهمها الاخوان وطبقوها هو أهم جوانب التربية وأشدها خطرا وأعمقها أثرا ، وذلك لأن أول هدف للتربية الاسلامية هو تكوين الانسان المؤمن •

والايمان فى الاسلام ليس قولا يقال ولا دعوى تدعى ، انما هو حقيقة يمتد شعاعها الى العقل فيقتنع ، والى العاطفة فتجيش ، والى الارادة فتتحرك وتحرك ، انه كما جاء فى الأثر — ما وقر فى القلب وصدقه العمل « **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله** »(١) ، ليس الايمان فى الاسلام مجرد معرفة ذهنية محضة كمعرفة المتكلمين والفلاسفة ، ولا مجرد تذوق روحى مجنح كتذوق المتصوفة ، ولا مجرد سلوك تعبدى كسلوك النساك والمتزهدين • انه مجموع هذا كله سالما من الشطط والافراط والتفريط ، مضافا اليه ايجابية تعمر الأرض بالحق ، وتملأ الحياة بالخير وتقود الانسان الى الرشد •

لقد حاول الاخوان فى تربيتهم أن يجمعوا ما فرقه المتكلمون والصوفية والفقهاء من عناصر الايمان الحق ، وأن يجددوا ما أبلاه المسلمون فى الأعصر الأخيرة من معانى الايمان الحق ، فعادوا الى المنابع الصافية يستمدون منها حقيقة الايمان الذى يجب أن يربى عليه الاخوان • ايمان الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، بشعبه التى بلغت بضعا وستين أو بضعا وسبعين ، وألف فيه الحافظ البيهقى كتاب « شعب الايمان » •

ايمان الصحابة ومن تبعهم باحسان من سلف الأمة الذين شمل ايمانهم اعتقاد القلب واقرار اللسان وعمل الجوارح وصبغ ايمانهم حياتهم كلها فى المسجد وفى البيت وفى المجتمع ، فى الخلوة والجلوة ،

---

(١) الحجرات : ١٥

وفى الليل والنهار ، فى العمل للدنيا ، وفى العمل للآخرة . امتاز الايمان فى تربية الاخوان بهذا الامتداد وبهذا العمق ، وامتاز كذلك بحيويته النابضة ، وقوته الدافعة ، وحركته الفعالة ، انه شعلة تتأجج ، وتيار يتدفق ، ونور يضيء ، ونار تحرق .

وعماد التربية الربانية هو القلب الحى الموصول بالله تبارك وتعالى ، الموقن بلقائه وحسابه ، الراجى لرحمته ، الخائف من عقابه ، فحقيقة الانسان ليست فى هيكله المادى والأجهزة والخلايا والعظام والعضلات ، انما هى فى تلك اللطيفة الربانية التى تسكن هذا الهيكل ، وتحركه وتأمره وتنهاه ، انها المضغة التى اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب . القلب أو الروح أو الفؤاد — سمه ما شئت — هو ذلك الكائن الواعى الذى يصل الانسان بأعماق الحياة ، وأسرار الوجود ، وينتقل به من الأرض الى السماء ومن الكون الى المكون ، ومن عالم الفناء الى عالم الخلود .

القلب الحى هو موضع نظر الله تعالى ، ومهبط تجلياته وأنواره « ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم » ، وهو المستند الوحيد الذى يقدمه العبد لربه يوم القيامة وسيلة للنجاة **« يوم لا ينفع مال ولا بنون . الا من أتى الله بقلب سليم »**(١) ، وبدون هذا القلب العامر بالايمان ، المشرق باليقين ، يكون الانسان ميتا وان عده الاحصاء فى الأحياء **« أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها »**(٢) .

من أجل هذا عمدت التربية الاخوانية الى احياء القلوب حتى لا تموت ، وعمارتها حتى لا تخرب ، وترقيقها حتى لا تقسو ، فان قسوة القلب وجمود العين عقوبة يستعاذ بالله من شرها ، ولهذا ذم الله بنى اسرائيل فقال : **« فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية »**(٣) وفى موضع آخر خاطبهم فقال : **« ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة »**(٤) وعاتب الله أهل الايمان فقال :

---

(١) الشعراء : ٨٨ ، ٨٩ (٢) الأنعام : ١٢٢
(٣) المائدة : ١٣ (٤) البقرة : ٧٤

« ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم »(١) .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع . وكانت رسائل الأستاذ البنا ومقالاته وأحاديثه العامة فى المركز العام ، والخاصة فى لقاءات الأسر والكتائب والشعب — دائمة الطرق لأبواب القلب الانسانى حتى يتفتح على معرفة الله ، ويرجوه ويخشاه ، وينيب اليه ويتوكل عليه ويوقن بما عنده ويأنس بحبه والرضا عنه ، ويسكن الى قربه ، ويطمئن بذكره **« ألا بذكر الله تطمئن القلوب »(٢) .**

وبهذا يستسهل القلب المؤمن الصعب ، ويستمرىء المر ، ويستعذب العذاب ، ويستهين بالمتاعب والمشقات ، بل يستلذها ما دامت لله وفى سبيل الله ، كما يستلذ كل محب متاعب رحلته وينسى جوعه وظمأه ، اذا كانت الغاية والعاقبة لقاء الحبيب ، على نحو ما ذكر ابن القيم رحمه الله :

لها أحاديث من ذكراك تشغلها
عن الطعام وتلهيها عن الزاد
اذا اشتكت من كلال السير أوعدها
روح القدوم فتحيا عند ميعاد

وقلب الانسان كجسمه يحتاج الى ثلاثة أشياء :

(ا) الى وقاية ليسلم .
(ب) والى غذاء ليحيا .
(جـ) والى علاج ليشفى .

وأول ما يجب وقاية القلب منه ، واعطاؤه المصل الواقى من شره ، هو : حب الدنيا ، فهو رأس كل خطيئة ، وأصل كل داء ، والمصل الواقى

---

(١) الحديد : ١٦ (٢) الرعد : ٢٨

منه هو اليقين بالآخرة ، وتذكر مثوبة الله ، والموازنة بين تفاهة ما عندنا وعظمة ما عند الله — ان جازت الموازنة بين الفانى والباقى — **« ما عندكم ينفد ، وما عند الله باق »**(١) .

وحسب المؤمن أن يقرأ هذه الموازنة أو المفاضلة صريحة واضحة فى كتاب ربه : **« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب . قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ، للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله ، والله بصير بالعباد »**(٢) .

وهناك وراء هذه الشهوات المادية — شهوات البطون والفروج ، وحب المال والبنين — ما هو أشد خطرا وهو شهوات القلوب ، وأهواء النفوس ، والهوى شر اله عبد فى الأرض **« ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله »**(٣) .

شهوة الجاه وحب السيطرة ، والتأله على خلق الله ، وابتغاء الشهرة والمحمدة ، والسعى وراء تصفيق العامة ، أو تملق الخاصة ، وما الى ذلك هى الوباء القتال الذى يصيب القلوب فيعميها ويصمها ، أو يوبقها ويقتلها . وهى التى سماها الامام الغزالى فى احيائه : « المهلكات » اهتداء بالحديث النبوى الذى قال : « ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه » .

ومن المؤسف أن كثيرين لم يلتفتوا الى هذه المهلكات المعنوية للأفراد والجماعات ، ووجهوا كل اهتمامهم الى المهلكات الظاهرة من السرقة والزنا وشرب الخمر ، وهى من الموبقات قطعا ، ولكنها أقل ضررا ، وأيسر خطرا .

والحقيقة أن وراء كل هذه الموبقات الحسية داء نفسيا علمه من علمه وجهله من جهله . ومن ثم اهتمت الدعوة من أول يوم بتخليص

---

(١) النحل : ٩٦ — (٢) آل عمران : ١٤ ، ١٥
(٣) القصص : ٥٠

النفوس من شوائبها الدنيوية ، وجعلها لله قبل كل شيء ، وقطع أطماع النفس عن كل مغنم أو مظهر دنيوى لا يغنى عند الله شيئا ، واتجهت الى الربانية بكل قوتها ، وعبأت لها الأفكار والمشاعر ، كما هيأت لها المناخ والوسائل .

كان هذا الجانب الايمانى أو الربانى يحتل فى مناهج التربية الاخوانية مساحة واسعة ، وينال اهتماما بالغا ، فالدعوة دعوة ربانية قبل كل شيء ، والدعوات الربانية انما توجه وجهها الى الله وحده ، وتجعل رضاه غاية المراد :

اذا صح منك الود فالكل هين
وكل الذى فوق التراب تراب

والله تعالى لا ينظر الى الصور ، ولكن الى القلوب . ولا يجازى بحجم العمل الظاهر ، ولكن بالاخلاص الذى وراءه .. فالله تعالى لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا لوجهه ، وهو أغنى الأغنياء عن الشرك ، والرياء هو الشرك الخفى . فهو سبحانه لا يحب العمل المشترك ، ولا القلب المشترك ، العمل المشترك لا يقبله ، والقلب المشترك لا يقبل عليه **« فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »**(1) . ولا غرو أن جعلت شعارها « الله أكبر ولله الحمد » وجعلت أول هتافاتها التى تلقنها لأتباعها وتغرس بها فى عقولهم وعواطفهم أهدافها ومفاهيمها الكبرى : الله غايتنا .

وفى رسالة التعاليم يجعل الشهيد البنا الركن الثانى من أركان « البيعة » بعد « الفهم » المنشود للاسلام فى حدود « الأصول العشرين » المشهورة هو « الاخلاص » ويفسر الاخلاص بقوله : « أن يقصد الأخ المسلم بقوله وعمله وجهاده وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته وحسن مثوبته من غير نظر الى مغنم أو مظهر أو جاه أو تعب أو تقدم أو تأخر . وبذلك يكون جندى فكرة وعقيدة لا جندى غرض ومنفعة **« قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت »**(2) .

---

(1) آخر سورة الكهف : ١١٠ (2) الأنعام : ١٦٢ ، ١٦٣

والعارفون بأمراض القلوب وآفات النفوس يعلمون أن من أخطر ما يتعرض له المشتغلون بالدعوة الافتتان بالشهرة ، والتطلع الى الصدارة وحب الظهور والزعامة . ولهذا حذر الرسول الكريم من حب الجاه والمـــال ومن الشرك الخفى ، وهو الرياء ، ونوه القرآن والسنة بالمخلصين الذين يعملون ما يعملون « ابتغاء وجه الله » لا يريدون من أحد جزاء ولا شكورا ، وأشاد الرسول بالمسلم الايجابى الصامت الذى يؤدى واجبه وهو غامض فى الناس لا يشار اليه بالأصابع وقال : « رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » و « طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله ، أشعث رأسه مغبرة قدماه ، ان كان فى الحراسة كان فى الحراسة ، وان كان فى الساقة كان فى الساقة » ورحم الله خالدا سيف الله ، الذى عمل قائدا فأحسن ، وعمل جنديا فما فرط ولا قصر .

وقد أكد الاخوان فى تربيتهم هذه المعانى ، وحذروا كل التحذير من حب الظهور الذى طالمـــا قصم الظهور .

لقد كان من ثمرات هذه التربية أن ظهر فى الجماعة كثير من الجنود المجهولين ، أو كما سماهم الحديث النبوى الذى رواه الترمذى : « الأبرار الأتقياء الأخفياء ، الذين ان غابوا لم يفتقدوا ، وان حضروا لم يعرفوا » وأن وجدنا رجالا فيهم قبس من الأنصار : يكثرون عند الفزع ويقلون عند الطمع .

كم من رجال بذلوا من أموالهم وأنفسهم دون أن يذكروا أسماءهم ، أو يقرعوا الطبول لأشخاصهم ، وكم من شباب قاتلوا فى فلسطين والقناة وقدموا من روائع البطولات دون أن يلتمسوا من أحد جزاء أو شكورا ، ودون أن يعلنوا عن أنفسهم أو يذكروا ما صنعوه خشية أن يحبط عملهم بالعجب أو الغرور .

وكان بعد ذلك على الحركة أن تعمل على غذاء القلوب بعد وقايتها . وغذاء القلوب انما يتم بدوام الصلة بالله تعالى ، والقيام بذكره وشكره وحسن عبادته .

من هنا كان من المقومات الأساسية التى قامت عليها التربية الربانية الاخوانية : العبادة لله تعالى • فهى الغاية الأولى من خلق المكلفين **« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون »**(١) والعبادة — بالمعنى العام — اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال ، ولكنا نقصد به هنا العبادة بالمعنى الخاص ، وهو التنسك والتقرب لله تعالى باقامة شعائره وذكره وشكره •

ومن العناصر الأساسية التى حرص الاخوان عليها فى العبادة :

١ — التزام السنة ، واجتناب البدعة ، فان كل بدعة ضلالة ، وقد ألف فى هذا الأخ الجليل الشيخ سيد سابق كتابه « فقه السنة » وقدم له الامام الشهيد ، وأثنى عليه • وقبل ذلك نشر فقرات منه فى مجلة الاخوان الأسبوعية ، والكتاب يعتمد على الأدلة الشرعية ، ويمثل الاتجاه الفقهى للاخوان •

٢ — الاهتمام بالفرائض ، فان الله لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة • وفى الحديث القدسى الذى رواه البخارى : « ما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى من أداء ما افترضته عليه » فلا تهاون ولا تساهل فى ترك الفريضة بحال •

٣ — الترغيب فى صلاة الجماعة ، فهى اما فرض عين أو فرض كفاية أو سنة مؤكدة على اختلاف المذاهب ، ولهذا حين ذهب الاخوان الى معتقل الطور ، سرعان ما جعلوا فى كل قسم منه مسجدا • يجتمعون فيه لكل صلاة ، كما يؤدون فيه فريضة الجمعة . ولا زلت أذكر صوت الشيخ محمد الغزالى وهو يؤمنا فى كل صلاة ، ويقنت فى الركعة الأخيرة داعيا : « اللهم فك بقوتك أسرنا ، واجبر برحمتك كسرنا . وتول بعنايتك أمرنا • اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ••• » •

٤ — الترغيب فى التطوع ، ففى الحديث القدسى السابق : « وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ••• » وكم نشأ فى رحاب هذه الدعوة رجال صوامون قوامون **« تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون**

---

(١) الذاريات : ٥٦

ربهم خوفا وطمعا »(١) وصفهم الناس كما وصفوا الصحابة وتابعيهم من قبل بأنهم : رهبان الليل وفرسان النهار . وقال شاعرهم بلسانهم فى نشيد « هو الحق » أو نشيد « الكتائب » الذى يحفظه الجميع :

رقـــاق اذا ما الـــدجى زارنا
غمـــرنا محاريبنـــا بالحـــزن
وجنـــد شـــداد ، فمن رامنـــا
لبـــأس رأى أســـدا لا تهن

وفى هذا وضع الأستاذ المرشد رسالة « المناجاة » بين فيها فضل التهجد والصلاة فى الأسحار ومنزلة الدعاء والاستغفار ، وما ورد فى ذلك من آيات وأحاديث وآثار . وطالمـا أشاد رحمه الله بمتعة التعبد فى جوف الليل ، والقيام لله والناس نائمون ، والسهر فى طاعته والناس فى لهوهم غارقون ، وبكاء الصالحين من خشية الله حيث يضحك المفرطون . وطالمـا تمثل بقول الشاعر فى مناجاة ربه :

ســـهر العيـــون لغـــير وجهـــك باطل
وبكاؤهن لغـــير فقـــدك ضـــائع

وقول الآخر :

ان قلبـــــا أنت ســـــاكنه
غـــير محتـــاج الى الســـرج
وجهـــــك المـــأمول حجتنـــــا
يوم يأتى النـــــاس بالحجـــج

أثرت هذه المعانى والتأكيد عليها فى عقول الاخوان وقلوبهم ، فنشأ جيل ربانى يسهر ليله لله ، ويظمىء نهاره لله ، لا يمنعه برد الشتاء عن القيام ، ولا هجير الصيف عن الصيام ، لأنه يجد فى عبادة ربه نشوة ، وفى طاعته لذة ، وفى الوقوف بين يديه سعادة ، كتلك التى عبر عنها أحد الصالحين قديما بقوله : لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف .

---

(١) السجدة : ١٦

وما برحت أذكر صفوف المتهجدين فى معتقل الطور ، حيث كان يمر بعض الاخوان فى الثلث الأخير من الليل ينادى بصوت مؤثر :

يا نائمـــا مســتغرقـا فى المنـــام
قـم فاذكر الحى الذى لا ينـــام

مـولاك يدعـــوك الى ذكـــره
وأنت مشـــغول بطيب المنـــام !

هناك يستيقظ النائم ، ويخف المتثاقل ، وينهض المتكاسل ، ليتعرض لنفحات الله فى هــذا الهزيع المبــارك من الليل عسى أن تناله بركة « المستغفرين بالأسحار » .

ان مدرسة الليل — بما فيها من صلاة ودعاء وقرآن وترتيل ، وبما تهيىء للأرواح من زاد ، وللقلوب من عتاد — هى التى تخرج المسلم الذى يحتمل أعباء الرسالة ، وميراث النبوة بقوة وأمانة كما حملها النبى الكريم ، الذى خاطبه الله منذ اشراقة الدعوة فى عهــدها المكى :
« يا أيها المزمل . قم الليل الا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا . انا سنلقى عليك قولا ثقيلا »(١) .

وفى هذه المدرسة — مدرسة الليل والقرآن — تخرج شباب ربانيون اعادوا لنا سيرة السلف من جديد .. رأينا من هؤلاء الشباب الربانيين من التزم صيام الاثنين والخميس طوال حياته ، نفعنا الله بهم ، ومن ظل على هذه السنة وهو فى ميدان الجهاد عملا بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « من صام يوما فى سبيل الله ، الا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا » رواه البخارى وغيره .

ولقد أصيب مرة أحد هؤلاء الاخوة المجاهدين فى يوم صيامه ، فجىء له وهو فى النزع الأخير بشربة ماء ، فقــال لهم : دعونى ، نى أريد أن ألقى ربى وأنا صائم !

---

(١) المزمل : ١ — ٥

٥ — الترغيب فى ذكر الله : فالله تعالى يقول : **«يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا • وسبحوه بكرة وأصيلا »**(١) •وخير الذكر تلاوة القرآن كلام الله الحكيم ، فلتاليه بكل حرف عشر حسنات • ومن وصايا الاخوان أن يكون لكل أخ ورد يومى يتلوه من كتاب الله ، وأن يحرص على حسن التلاوة بمعرفة أحكام التجويد ، وأن يقرأه بتدبر وتأمل ، فلو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض ، أو كلم به الموتى لكان هذا القرآن •

وأنواع الذكر وصيغه كثيرة منها : التسبيح . والتحميد ، والتهليل ، والتكبير ، والدعاء ، والاستغفار ، والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم •

وقد حرصت التربية الاخوانية على التزام الذكر بالمأثور فى هذا كله لعدة أمور :

١ — أن الصيغ المأثورة لا تدانيها صيغة أخرى لا فى مضمونها ولا فى أسلوبها ، فهى آية من آيات الله فى الشمول والبلاغة والوضوح وقوة التأثير • وهذا من بركات النبوة •

٢ — أن كلام غير المعصوم قد يدخله شىء من الغلو أو التقصير ، وبهذا يكون عرضة للقيل والقال ، ودع ما يريبك الى ما لا يريبك •

٣ — أن فى الذكر بالمأثور أجرين : أجر الذكر ، وأجر الاتباع • ولا يليق بالعاقل أن يضيع أجر الاتباع بلا مسوغ •

ومن ثم عنى الامام الشهيد بوضع رسالة تشمل مجموعة من الأذكار والأدعية الواردة فى السنة سماها « المأثورات » اقتبسها من مثل « الأذكار » للامام النووى ، و « الكلم الطيب » لشيخ الاسلام ابن تيمية •

---

(١) الأحزاب : ٤١ ، ٤٢

ولا يكاد أخ من الاخوان الا وعنده هذه الرسالة ، وقل من لا يحفظها ويردد أذكارها صباح مساء . ومن الاخوة من اتخذ لنفسه وسيلة تذكره بكل دعاء فى مناسبته ، ففى غرفة النوم علق لوحة فيها أذكار النوم واليقظة ، وفى حجرة الطعام يعلق أخرى فيها أدعية الأكل والشرب ، وعند الباب دعاء الدخول والخروج ، وفى سيارته دعاء الركوع ، وهكذا ..

ومن الوسائل التى ابتكرها الاخوان لايقاظ الشعور الدينى ، وتنمية الوازع الذاتى ، وتغليب النفس اللوامة على النفس الأمارة بالسوء : ما سمى بـ « جدول المحاسبة » وهو جدول مطبوع يتضمن أسئلة موجهة من الانسان الى نفسه ، وعليه أن يجيب عنها بـ « نعم » أو « لا » ليعرف مدى محافظته أو تقصيره . ويكون ذلك عندما يأوى الى فراشه ، ليتبين حصيلة يومه . وهذه المحاسبة تتم بينه وبين نفسه ، لا رقيب عليه الا الله تعالى .

من هذه الأسئلة :

هل أديت الصلوات فى أوقاتها ؟

هل أديتها فى جماعة ؟

هل تلوت وردك اليومى من القرآن ؟

هل قرأت أدعيتك المأثورة ؟

هل زرت أخا لك فى الله .. الخ .. الخ .

وكان من ثمرات هذه التربية الايمانية الربانية أن قدم الاخوان ما قدموا لأوطانهم وفى سبيل دعوتهم دون أن يمنوا على أحد ، بل الله يمن عليهم أن هداهم للايمان ، وان صبت عليهم سياط العذاب فى محن متلاحقة فى عهد الملكية ثم فى عهد الناصرية (١٩٤٨ ، ١٩٥٤ ، ١٩٦٥) فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا . حتى أن منهم من نهشته الكلاب ، ومن شوى ظهره بالحديد المحمى ، ومن مزقت بدنه الكرابيج ، ومن قضى فى السجن عشرين عاما كاملة فى عهد الثورة ، ومنهم من قتل جهرة ضربا بالرصاص ، كما فى مذبحة ليمان طرة ، ومنهم من قتل خفية بالسياط ، وهم عشرات يجب أن يماط عنهم اللثام ،

ويعرفهم التاريخ ، ومنهم من حكم عليه بالاعدام شنقا بغير حق ، فلا هو كفر بعد اسلام ، ولا هو زنا بعد احصان ، ولا هو قتل نفسا بغير نفس ، كل ذنبه أن يقول : ربى الله ، ودستورى القرآن !!

ليس العجب أن يذنب الانسان ، انما العجب أن يتمادى فى الذنوب ولا يتوب • وقد أذنب آدم فتاب الله عليه وغفر له « **وعصى آدم ربه فغوى • ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى** »(١) ولكن ابليس أذنب فلم يغفر له ، لأنه لم يتب من ذنبه ، ولم يعتذر الى ربه ، بل أبى واستكبر عن الخضوع للأمر ، وقال : « **أنا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين** »(٢) على حين قال آدم وزوجه : « **ربنا ظلمنا أنفسنا ، وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** »(٣) •

كان ذنب آدم وزوجه نتيجة غفلة طارئة ، وشهوة عارضة ، أعقبتها توبة نصوح ، فتقبلها الله وتاب عليه • وكان ذنب ابليس نتيجة تمرد على الله ورفض لأوامره ، واستكبار عن طاعته ، فطرده الله مذموما مدحورا ، عليه اللعنة الى يوم الدين •

والاخوان بشر من بنى آدم ، فلا غرابة أن نجد منهم الخطائين ، الذين يخالفون ما به أمروا ، أو يرتكبون ما عنه نهوا ، ولكن خير الخطائين التوابون المستغفرون ، وهذا هو العلاج الذى تحتاج اليه القلوب لتشفى :

التوبة النصوح ، والاستغفار الصادق ، ولا سبيل الى ذلك الا بالشعور بالذنب ، وخشية العقوبة من الرب ، والتضرع اليه بصدق العبودية ، وذل الاعتراف •

ومع هذا كله وهب الاخوان كل ما أصابهم من أذى ، وما قدموه من تضحيات لله جل جلاله • فقد باعوا أنفسهم وأموالهم لله ، واشترى الله تعالى منهم ذلك بأن لهم الجنة ، وهم لم يستقيلوا هذه الصفقة أو يتراجعوا عنها ، ولن يفعلوا ان شاء الله ، ولن يقبلوا دون الجنة بدبلا •

---

(١) طه : ١٢١ ، ١٢٢
(٢) الأعراف : ١٢
(٣) الأعراف : ٢٣

ولهذا لم يفكر الاخوان فى الانتقـــام ممن سجنوهم وعذبوهم وصـــادروا أموالهم ، وجوعوا أسرهم ، وقتلوا منهم من قتلوا سرا وعلانية ، ولم يسمع أحد أنهم اختطفوا واحدا من جلاديهم ، وأطلقوا عليه الرصاص فى عينه اليمنى أو اليسرى ، وكان فى امكانهم أن يفعلوا لو أرادوا وفيهم المدربون الذين أرعبوا اليهود ، وأقضـــوا مضاجع الانجليز ، ولكن تربيتهم لم تسمح لهم بهذا اللون من التفكير ، بل تركوا خصومهم لله ، فانتقم منهم واحدا بعد الآخر ، فى الدنيا قبل الآخرة . وما عند الله أشد وأخزى . على أن ما يريدونه أكبر وأعمق من الانتقام من أفراد صغروا أم كبروا .

ولقد قدر للاخوان أن يروا بأعينهم مصاير الكثيرين من جلاديهم . ذلا وهوانا أو جنونا وسقاما أو قتلا ونكالا ، حتى أن الأستاذ الهضيبى — رحمه الله على كبر سنه — عاش حتى رأى الذين سجنوه أنفسهم يدخلون السجن معه ومع اخوانه ، غير أنهم دخلوه وهم يبكون بكاء الأطفال ، على حين استقبله الاخوان بابتسامة الأبطال .

ليس معنى هذا أن كل الاخوان كانوا على هذا المستوى من الربانية الصافية ، ولكن أقول بصدق : ان طابع الربانية المشرق كان هو الغالب عليهم ، والمهيمن على أكثرهم ، فالطاعة فيهم هى القاعدة ، والمعصية هى الشذوذ ، فقد شغلوا بالآمال الكبيرة عن الشهوات الصغيرة ، وبأحلام الآخرة عن مطامع الدنيا . وبالقضايا العامة عن المنافع الخاصة . ومن أغواه شيطانه يوما فزلت قدمه ، سرعان ما يستيقظ ضـــميره ، ويصحو قلبه ، ويرجع الى باب ربه يقرعه نادما باكيا تائبا . ولا زلت أذكر شابا كان فى عنفوان شبابه ، قادته غريزته فى لحظة ضعف عارضة ، وغفلة قلب طارئة ، فتورط فى المعصية : ثم أفاق فجأة ليجد نفسه قد تلوث بعد طهارة ، وانحرف بعد استقامة ، وغوى بعد رشـــد ، وأحس بمرارة المعصية بعد أن ذاق حلاوة الطاعة ، فاعتكف فى بيته أياما يبكى على نفسه ، ويتقلب على جمر الغضا ، ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وضاقت عليه نفسه . فلم يعد يلقى أحدا ، ولا يخرج من حجرته ، حياء من ربه ، وخجلا من نفسه ، وفرارا من اخوانه . مع أن أحدا منهم لم يعلم بما حدث له غيرى ، لولا أن كتبت اليه ،

أفتح له باب الأمل فى التوبة ، والرجاء فى مغفرة الله ، وأذكره بحديث الرسول الكريم : « من سرته حسنته ، وساءته سيئته ، فهو مؤمن » وقول على : « سيئة تسوءك ، خير من حسنة تعجبك » أى تصل بك الى درجة العجب والغرور بها . ويقول ابن عطاء الله : « ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول . وربمـــا قدر عليك المعصية ، فكانت سببا فى الوصول . معصية أورثت ذلا وانكسارا ، خير من طاعة أورثت عجبا واستكبارا » .



التكامل والشمول

ومن خصائص التربية الاسلامية ، كما فهمها الاخوان وطبقوها :

التكامل والشمول ...

فليست التربية الاسلامية مقصورة العناية على جانب واحد من جوانب الانسان التى يهتم بكل واحدة منها أهلها والمختصون بها .

انها لا تضع كل اهتمامها فى الناحية الروحية أو الخلقية التى يعنى بها المتصوفة والأخلاقيون .

ولا تقصر كل جهودها على الناحية الفكرية التى يهتم بها الفلاسفة والعقليـــون .

ولا تجعل أكبر همها فى التدريب والجندية التى يحرص عليها العسكريون .

ولا تحصر نشاطها فى التربية الاجتمــاعية كما يصنع المصلحون الاجتمــاعيون .

انها فى الواقع تهتم بكل هذه الجوانب ، وتحرص على كل هذه الألوان من التربية .

ذلك أنها تربية للانسان كل الانسان : عقله وقلبه ، روحه وبدنه ، خلقه وسلوكه ، كما أنها تعد هذا الانسان للحياة بسرائها وضرائها ، سلمها وحربها ، وتعده لمواجهة المجتمع بخيره وشره ، حلوه ومره .

لهذا كان لابد من العناية بالتربية الجهادية ، والتربية الاجتماعية ، حتى لا يعيش المسلم فى واد ، والجماعة من حوله فى واد آخر .

انه التكامل والشمول الذى تميز به الاسلام فى مجال العقيدة ، وفى مجال العبادة ، وفى مجال التشريع ، يتميز به أيضا فى مجال التربية .

وفى هذه الصحائف سنتحدث بايجاز عن هذه الجوانب الأساسية ، التى اهتمت بها التربية الاخوانية ، أو بعبارة أدق : التربية الاسلامية كما فهمها الاخوان وطبقوها •

أما الجانب الروحى أو الربانى ، فقد أفردناه بالحديث فيما سبق ، واعتبرنا التأكيد عليه جدير أن يكون وحده احدى خصائص التربية الاسلامية ، بل هى الخصيصة الأولى •

الجانب العقلى :

وللاخوان عناية كبيرة بهذا الجانب تبعا لعناية الاسلام نفسه به ، فان أول آية أنزلها الله تعالى على محمد — صلى الله عليه وسلم — هى : **« اقرأ باسم ربك »** •

الاسلام دين يحترم العقل ، ويجعله مناط التكليف ، ومحور الثواب والعقاب ، والقرآن ملىء بمثل هذه الفواصل : **« أفلا تعقلون » « أفلا تتفكرون » « لآية لقوم يعقلون » « لقوم يتفكرون » « لأولى الألباب » « لأولى النهى »** •

فالتفكير فى الاسلام عبادة ، وطلب البرهان واجب ، وطلب العلم فريضة ، كما أن الجمود رذيلة ، والتقليد جريمة •

فالاسلام يريد من المسلم أن يكون على بينة من ربه ، وأن تكون دعوته **« على بصيرة »** ولا يقبل ايمان المقلد ، ولا يرضى ممن آمن به أن يكون أمعة ، يفكر برأس غيره ، ويقاد فينقاد بغير تفكير ولا تبين ، بل الواجب أن يفكر وينظر ويتفقه و « من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين » •

فلا غرو أن تكون التربية العقلية لازمة لزوم التربية الايمانية أو الروحية ، فان سلوك الانسان انما هو صورة من تفكيره وتصوره للوجود وللحياة وللانسان •

ولهذا جعل الأستاذ البنا « الفهم » أول أركان البيعة ، وقدمه على الاخلاص والعمل والجهاد والاخوة وغيرها من أركان الدعوة الأصيلة ، لأن الفهم يسبقها جميعا ، والمرء لا يخلص للحق ، ويعمل له ، ويجاهد فى سبيله الا بعد أن يعرفه ويفهمه •

والقرآن يجعل العلم سابقا على الايمان والاخبات ، وهما نتائج له ، او متفرعة عنه • قال تعالى : « **ويعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم** »(١) •

وقد جاء فى النظام الأساسى للاخوان فى بيان أغراض الجماعة ، وأهداف الحركة ، أن فى مقدمتها « الغرض العلمى » بشرح دعوة القرآن الكريم شرحا دقيقا يوضحها ويردها الى فطريتها وشمولها ويعرضها عرضا يوافق روح العصر ويرد عنها الأباطيل والشبهات •

والغرض الثانى : « الغرض العلمى » بجمع القلوب والنفوس على هذه المبادىء القرآنية وتجديد أثرها الكريم فيها •• وأن من وسائلها الدعوة بطريق النشر والاذاعة المختلفة •• والتربية بطبع أعضاء الهيئة على هذه المبادىء وتمكين معنى التدين العملى لا القولى فى أنفسهم أفرادا وبيوتا •• وتكوينهم تكوينا صالحا : بدنيا بالرياضة ، وروحيا بالعبادة ، وعقليا بالعلم •

وهذا ما قامت عليه التربية الاخوانية ، التى جعلت التكوين العقلى والثقافى فى طليعة منهاجها التكاملى •

وتربية الاخوان هنا تقوم على أساس تكوين « عقلية مسلمة » تفهم الدين والحياة فهما صحيحا •

ومن هنا لابد أن يأخذ الأخ المسلم من الثقافة الاسلامية القدر الذى يفهم به عقيدته ، ويصحح عبادته ، ويضبط سلوكه ، ويقف به عند حدود الله فى حلاله وحرامه ، وأمره ونهيه ، ويستطيع فى ضوئه أن يحكم

---

(١) الحج : ٥٤

على الأحداث والأشخاص والمواقف والقضايا بعقلية المسلم ، الذى ينظر من زاوية اسلامية ، ويحكم بمعيار اسلامى .

كما أنه لابد أن يفهم الحياة من حوله ، كيف تسير ، وكيف تتحول ، وكيف تتأثر ، وما عوامل التسيير والتحويل والتأثير ؟

ولابد أن يبدأ الأخ بمعرفة المجتمع الصغير الذى يعيش فيه كالقرية أو المدينة ، ثم يتـدرج الى معرفة المجتمع الأوسع كالوطن بالمعنى الجغرافى أو السياسى ، ثم الوطن الكبير — الوطن العربى — من الخليج الى المحيط ، ثم الوطن الأكبر من المحيط الى المحيط ، وهو الوطن الاســلامى .

ولابد أن يعرف التيارات المناوئة ، والقوى المعاوية ، من اليهودية والصليبية والشيوعية وعملائها فى قلب العالم الاسلامى ، من العلمانيين والمنحلين والمقلدين والحاقدين والنفعيين .. وغيرهم من عباد المـادة ، وعبيد المناصب .

وهذا ما قامت مناهج التربية الثقافية للاخوان على توفيره وتهيئته وأنشىء لذلك قسم الأسرة مستعينا فى ذلك بكل الأقسام الأخرى ، وكل ذى خبرة فى مجال التربية الاسلامية .

فهم الاخوان الاسلام فهما جديدا قديما ..

أما جدته ، فلغرابته على كثير من الناس حتى من أبناء المسلمين أنفسهم ، حتى اعتبروا الاسلام دينا ودولة ، وعبادة وقيادة ، وروحانية وعملا ، وصلاة وجهادا ، ومصحفا وسيفا ، وكما أعلن مؤسس الحركة فى الأصل الأول من أصوله العشرين :

« الاسلام نظام شامل ، يتناول مظاهر الحياة جميعا ، فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة ، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة ، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء ، وهو خلق وقوة أو رحمة وعدالة ، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى ، كما هو عقيدة سليمة ، وعبادة صحيحة سواء بســواء » .

وكان المفهوم الغربى المسيحى للدين — باعتباره علاقة بين المرء وربه ، وأن مكانه المساجد والزوايا ، وأن لا علاقة له بالدولة والمجتمع — قد سيطر على الكثيرين ، حتى كان من وسائل الطعن فى دعوة الاخوان أنها خلطت بين الدين والسياسة !

كان هذا الفهم للاسلام جديدا على الناس حتى سماه الشهيد حسن البنا : « اسلام الاخوان المسلمين » ولكنه فى الواقع فهم قديم قدم الاسلام ذاته ، لأنه فهم الصحابة ومن تبعهم باحسان لاسلامهم : اسلام القرآن والسنة .

لقد ساء فهم المسلمين للاسلام نتيجة لأمرين هامين :

أولهمـا : رواسب عصور التخلف وما دخل فيها على الاسـلام من شوائب ومبتدعات وسوء تصور ، بسبب تحريف الغالبين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، كما أدى الى كثير من التشـويه لجمال الاسلام ، وتفكيك ترابطه ، واختلال التوازن بين أحكامه وتعاليمه ، فقدم ما حقه التأخير ، وأخر ما حقه التقديم ، وتضخم ما حقه أن ينكمش ، وتضاءل ما حقه أن يعظم .

وفى هذا المناخ راج التقليد والتعصب المذهبى .

ثانيهمـا : آثار الغزو الفكرى ، أو الاستعمار الثقافى ، الذى منيت به بلاد المسلمين فى عهد الاحتلال الأجنبى ، الذى أدخل فى حياة المسلمين مفاهيم جديدة ، وأفكارا دخيلة ، روجها وثبتها عن طريق المؤسسات التربوية والتعليمية ، والأجهزة التثقيفية والتوجيهية .

وكان أشد ما نجح فيه الاستعمار خطرا ، أنه ربى وراءه من أبناء المسلمين جمهرة ممن يسمون « المثقفين » صنعهم على عينه ، وغذاهم من لبانه ، وأرضعهم فلسفة حياته ، ولقنهم وجهة نظره ، وملأ عقولهم وقلوبهم اعجابا بحضارته ، واحتراما لنظمه ، وحبا لتقاليده ، ولم يعرفهم عن دينهم وحضارتهم وتراثهم الا القليل فى كميته ، الضعيف فى كيفيته ، التافه فى قيمته ، المتناقض فى مضمونه ، الممسوخ فى شكله وصورته .

ولا غرو أن وجدنا مسلمين يعيشون فى أوطانهم غرباء عنها ، وجوههم وجوه المواطنين العرب المسلمين ، وعقولهم عقول الخواجات الأوروبيين أو الأمريكيين .

وكان على التربية الاخوانية أن تواجه آثار الجهل القديم ، والتجهيل الجديد ، وأن تجتهد فى وضع منهاج متكامل لتثقيف « الأخ المسلم » تثقيفا يستمد عناصره من ينابيع الاسلام الصافية قبل أن تكدرها الشوائب بالزيادة أو الحذف ، بعيدا عن تعقيدات المتكلمين ، وتكلفات المتصوفين ، واعتراضات المتفقهين .

ولهذا كان القرآن الكريم وتفسيره أول مصـــادر الثقافة لدى الاخوان ، على أن تفسير السلف مقدم على غيرهم ، ومن هنا حفلوا بتفسير ابن كثير ، وجعلوه من مراجعهم المفضلة .

وكانت السنة هى المصدر الثانى ، على أن يرجع فى توثيقها وشرحها الى أئمة الحديث الثقات .

يقول الامام الشهيد حسن البنا فى الأصل الثانى من الأصـــول العشرين : « والقرآن الكريم والسنة المطهرة ، هما مرجع كل مسلم فى تعرف أحكام الاسلام » .

« ويفهم القرآن طبقا لقواعد اللغة العربية ، من غير تكلف ولا تعسف ، ويرجع فى فهم السنة ، الى رجال الحديث الثقات » .

ومن هنا اهتم الاخوان بعلوم القرآن وعلوم الحديث ، ووجهوا العناية لبعض كتب الحديث مثل « رياض الصالحين » للامام النووى ، كذلك اهتم الاخوان بفقه الحديث ، أو فقه السنة ، كما عنوا بدراسة السـيرة النبوية وفقهها واستخلاص العبر منها ، باعتبارها النموذج التطبيقى للاسلام ، والتفسير العملى للقرآن .

ولم يغفل الاخوان فى تثقيفهم التاريخ الاسلامى ، وسير أبطاله من القادة والعلماء والمصلحين .

ولم ينس المنهاج التربوى للاخوان التيارات المعادية ، والقوى

المناوئة ، دينيا وفكريا وسياسيا ، كالصهيونية والشيوعية والاستعمار والتبشير والماسونية والبهائية والقاديانية .. وغيرها .

ولا ريب أن شعب الاخوان ومراكزهم كانت دورا للعلم والتوعية الاسلامية الجماهيرية ، كما كانت « أسرهم » حلقات منظمة للتربية الفكرية ، وقد آتت هذه التربية أكلها فى قاعدة عريضة من أبناء الشعب ، فتحررت عقولهم من الأوهام والخرافات ، وانفتحت أعينهم على قضايا العالم الاسلامى الكبير ، وخرجت من قمقم الوطنية الضيق ، الى باحة الاسلامية الرحبة ، وأطلت على الثقافة الاسلامية الواسعة وأمهات مراجعها ببصائر نيرة ، وعقول مفتوحة .

ولا يخفى أن غلبة اللون الشعبى على جمهور الاخوان ، وغلبة الطابع العاطفى والخطابى على الجمهور المصرى بصفة عامة ، منذ عهد مصطفى كامل ، وسعد زغلول ، وحاجة الناس فى ذلك الوقت الى صحوة القلوب ، ويقظة الضمائر ، وعدم وجود أحزاب عقائدية مناوئة لفكرة الاسلام كالشيوعية ونحوها ، وانشغال الجماعة بنشر الدعوة من ناحية ، وبالواقع العملى ومتطلباته من ناحية أخرى ، وتعرضها للمضايقات والاضطهادات منذ عهد مبكر — كل هذا كان له أثره فى التقليل من تعميق الجانب الفكرى — بالقدر المنشود — لدى كثير من جماهير الاخوان ، وفى تأخير نضوج الطاقات العلمية والفكرية لدى الاخوان الى أواخر الأربعينات ، وأوائل الخمسينات ، حين شب الصغير ، ونضج الكبير ، وبرزت المواهب الكامنة .

وقد أدرك الامام حسن البنا فى أواخر حياته حاجة الجماعة الى تعميق الجانب الفكرى والعملى لدى أفرادها من جانب ، والى توضيح جوانب الاسلام ومقاصده لغير الاخوان من جانب آخر ، فأنشأ مجلة « الشهاب » الشهرية ، لتملأ هذا الفراغ ، وتقوم بهذا الدور ، وتخلف مجلة « المنار » التى توقفت بعد وفاة مؤسسها العلامة السيد رشيد رضا رحمه الله . ولكن لم يقدر لهذا الوليد المرتجى أن يستمر أكثر من خمسة أعداد . كان حسن البنا يكتب بنفسه جل مادتها . ثم كانت محنة ديسمبر ١٩٤٨ ثم اغتيال صاحب الشهاب فى فبراير ١٩٤٩ .

الجانب الخلقى :

ومن أهم جوانب التربية لدى الاخوان : الجانب النفسى أو الخلقى ، فقد اشتد اهتمامهم به . وتأكيدهم عليه ، واعتباره هو المحور الأول للتغيير الاجتماعى ، وكان الامام الشهيد حسن البنا ، رحمه الله يسميه « عصا التحويل » كالعصا التى تحول اتجاه الترام ونحوه من طريق الى آخر ، ومن جهة الى أخرى . ويردد فى هذا قول الشاعر :

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها
ولكن أخلاق الرجال تضيق

وكان يؤمن ويردد : أن أزمة العالم انما هى أزمة نفوس وضمائر ، قبل أن تكون أزمة اقتصاد وسياسة .

وتحت عنوان « من أين نبدأ » يكتب حسن البنا فى رسالته : « الى أى شىء ندعو الناس » ؟ يقول : « ان تكوين الأمم ، وتربية الشعوب ، وتحقيق الآمال ، ومناصرة المبادىء ، تحتاج من الأمة التى تحاول هذا ، أو من الفئة التى تدعو اليه على الأقل ، الى قوة نفسية عظيمة تتمثل فى عدة أمور :

« ارادة قوية لا يتطرق اليها ضعف ، ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر ، وتضحية عزيزة لا يحول دونها طمع ولا بخل ، ومعرفة بالمبدأ وايمان به وتقدير له ، يعصم من الخطأ فيه ، والانحراف عنه ، والمساومة عليه ، والخديعة بغيره .

« على هذه الأركان الأولية التى هى من خصوص النفوس وحدها ، وعلى هذه القوة الروحية الهائلة ، تبنى المبادىء ، وتتربى الأمم الناهضة ، وتتكون الشعوب الفتية ، وتتجدد الحياة فيمن حرموا الحياة زمنا طويلا .

« وكل شعب فقد هذه الصفات الأربعة ، أو على الأقل فقدها قواده ودعاة الاصلاح فيه ، فهو شعب عابث مسكين ، لا يصل الى خير ، ولا يحقق أملا . وحسبه أن يعيش فى جو من الأحلام والظنون والأوهام :

« وان الظن لا يغنى من الحق شيئا »(١) .

هذا هو قانون الله تبارك وتعالى ، وسنته فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا .

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »(٢) .

وهو أيضا القانون الذى عبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح ومعناه : « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة الى قصعتها ، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن » .

فقال قائل : أو من قلة نحن يا رسول الله يومئذ ؟ قال : « لا ، انكم حينئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل » .

فقال قائل : وما الوهن يا رسول الله ؟

قال : « حب الدنيا وكراهية الموت » .

أولست تراه صلى الله عليه وسلم قد بين أن سبب ضعف الأمم وذلة الشعوب وهن نفوسها ، وضعف قلوبها ، وخلاء أفئدتها من الأخلاق الفاضلة ، وصفات الرجولة الصحيحة ، وان كثر عددها ، وزادت خيراتها وثمراتهـا .

وجاء المرشد الثانى الأستاذ حسن الهضيبى — رحمه الله — فلم يكن تركيزه على هذه الناحية أقل من الأستاذ البنا ، وله فى ذلك كلمات مأثورة محفوظة ، مثل قوله :

« أخرجوا الانجليز من قلوبكم ، يخرجوا من بلادكم » .

وقوله : **« أقيموا دولة الاسلام فى صدوركم ، تقم على أرضكم »** .

وهو لا يريد بهذه الكلمات التقليل من شأن العمـل أو الكفاح السياسى والعسكرى لاجلاء الانجليز ، واقامة دولة الاسلام .

---

(١) النجم : ٢٨ (٢) الرعد : ١١

كيف وقد دفع أبناءه وجنود دعوته الى الجهاد والاستشهاد على ضفاف القناة والتل الكبير !

انما يريد أن السر فى كل كفاح ناجح ، يكمن أول ما يكمن فى تلك التهيئة النفسية ، والتعبئة الشعورية ، والتربية الأخلاقية ، التى تغير الأفراد ، فتتغير بها المجتمعات من حال الى حال ، كما بين ذلك القرآن ، حين قرر تلك السنة الاجتماعية التى لا تتبدل :

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »(١) •

والاسلام يعتبر الأخلاق الفاضلة من شعب الايمان ، أو من ثماره اليانعة •

فكما يتمثل الايمان الاسلامى فى سلامة العقيدة ، واخلاص العبادة •• يتمثل كذلك فى استقامة الخلق •

وفى الحديث : « أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا » •

والخلق أو الأخلاق ، كلمة بعيدة المدى فى مدلولها ، حتى ان الرسول له لبحدد مهمة رسالته فيقول : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وحتى ان أجمل ما أثنى الله به على رسوله قوله : **« وانك لعلى خلق عظيم »**(٢) وقد سئلت السيدة عائشة عن خلقه عليه الصلاة والسلام فقالت : كان خلقه القرآن • أى أن كل ما جاء به القرآن من فضائل وما أمر به من أوامر ، وما حث عليه من صالحات الأعمال ، فهو خلقه صلى الله عليه وسلم •

ليس الخلق اذن هو مجرد لين الجانب ، وحسن العشرة ، كما يفهم كثير من عامة الناس ، وان كان هذا ركنا ركينا من أخلاق المسلم « وخالق الناس بخلق حسن » « ان أحبكم الى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، الموطأون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون » •

وليس الخلق مقصورا على التعفف عن النساء والخمر كما يريد أن يفهم آخرون ، وان كان هذا من أول ما يحرص عليه الاسلام :

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ، ذلك أزكى لهم »(٣)

---

(١) الرعد : ١١ (٢) القلم : ٤
(٣) النور : ٣٠

«انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه »(١) .

بل يشمل هذا وذاك ، ويشمل ما هو أوسع وأعمق من جوانب الحياة : من ضبط النفس ، والصدق فى القول ، والاحسان فى العمل ، والأمانة فى المعاملة ، والشجاعة فى الرأى ، والعدل فى الحكم ، والصلابة فى الحق ، والعزم على الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والحرص على النظافة واحترام النظام ، والتعاون على البر والتقوى .

ومن أهم ما عنى الاخوان بغرسه فى أنفس رجالهم من الفضائل الخلقية :

١ — **الصبر** : سواء أكان صبرا على طول الطريق ، أم على كثرة الأشواك فيه ، أم على كثرة قطاعه بطريق الخوف ، أم على كثرة قواطعه بطريق الطمع ، فلابد من الصبر على هذا كله ، دون مبالاة باعراض الناس ، أو سخريتهم ، أو تثبيطهم أو ايذائهم واضطهادهم ، ولا سيما أن الصبر هو العدة عند الجهاد ، والذخيرة عند المحن ، والمعين على تكاليف الحق ، حتى قرن الله بين التواصى بالصبر والتواصى بالحق فى آية واحدة : « **وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** »(٢) . وقال تعالى على لسان لقمان وهو يعظ ابنه : « **يا بنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور** »(٣) .

ولهذا كان دعاء الممتحنين بتهديد الطغاة :

« **ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين** »(٤) .

وكان دعاء المقاتلين فى الميدان :

« **ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين** »(٥) .

---

(١) المائدة : ٩٠
(٢) العصر : ٣
(٣) لقمان : ١٧
(٤) الأعراف : ١٢٦
(٥) البقرة : ٢٥٠

٢ — **الثبـات** : ومما يتصل بالصبر ويكمله : « الثبات » وقد جعله الأستاذ البنا أحد أركان البيعة العشرة ، وفسره بقوله :

« وأريد بالثبات . أن يظل الأخ عاملا مجاهدا فى سبيل غايته ، مهما بعدت المدة ، وتطاولت السنوات والأعوام ، حتى يلقى الله على ذلك ، وقد فاز باحدى الحسنيين . فاما الغاية ، واما الشهادة فى النهاية ، **« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا »**(١) .

« والوقت عندنا جزء من العلاج ، والطريق طويلة المدى ، بعيدة المراحل ، كثيرة العقبات ، ولكنها وحدها التى تؤدى الى المقصود ، مع عظيم الأجر ، وجميل المثوبة » .

وآفة كثير من المنتسبين الى الدعوات : قصر النفس ، وضيق النفس . فينقطعون فى وسط الطريق ، أو يرجعون القهقرى ، أو ينحرفون يمنة أو يسرة ، بعد أن بعدت عليهم الشقة ، وثقل عليهم المسير ، وطال عليهم الطريق .

لهذا كان التأكيد على هذا الخلق « الثبات » ضروريا لأمثال هؤلاء ، حتى يستمروا ولا يتوقفوا أو يرتدوا . وبخاصة أن النفس مولعة بحب العاجل ، وقد خلق الانسان من عجل . ومن ثم قال الله لرسوله : **« فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم »**(٢) .

وآفة آخرين أنهم يظلون فى الطريق ما دام الريح رخاء ، والسماء صحوا والجو صافيا . فاذا اكفهر الجو ، وتلبدت السماء بالغيوم ، وعصفت الرياح ، ضعف احتمالهم ، وانقطع سيرهم ، كالذى وصفه الله بأنه اذا : **« أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله »**(٣) أو الذى **« ان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة »**(٤) وهكذا كل من يعبد الله على حرف .

---

(١) الأحزاب : ٢٣
(٢) الأحقاف : ٣٥
(٣) العنكبوت : ١٠
(٤) الحج : ١١

وهناك من يصبر على البلاء ، ويثبت فى الشدائد ، ولكنه يضعف أمام المغريات وأعراض الدنيا ، فاذا عرض عليه مال ، أو لوح له بمنصب ، سال له لعابه ، وفقد توازنه ، ونسى ما كان يدعو اليه من قبل .

والواجب على كل صاحب دعوة أن يكون له فى رسول الله أسوة حسنة حين عرض عليه المشركون ما عرضوا من المـال والجاه فى مقابل التنازل عن دعوته . فقال كلمته التاريخية لعمه : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يظهره الله أو أهلك دونه » !

٣ — **الأمل** : ومعناه : الرجاء فى انتصار الاســلام ، والثقة بأن المستقبل له ، وأن نصر الله قريب ، وان ادلهمت الخطوب ، وتفاقمت الكروب .

وكان الشهيد البنا ، يؤكد هذا المعنى ويصوغه بأساليب شتى ، محاربا ما أشاعه الاستعمار والجهل من يأس قاتل ، وقنوط مدمر ، مذكرا بأن اليأس من لوازم الكفر ، والقنوط من مظاهر الضلال فـ **« انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون »**[1] **« ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون »**[2] .

ومن كلماته : « ان حقائق اليوم كانت أحلام الأمس ، وأحلام اليوم هى حقائق الغد » .

ويذكر أهداف الاخوان وآمالهم الكبرى فى تحرير مصر والعالم العربى ثم الاسلامى ، ثم توحيده تحت راية الخلافة المنشودة . ثم هداية العالم كله ، ولا ينسى أن يذكر « العقبات » فى الطريق ، وهى شديدة وهائلة وكثيرة ، ورغم هذا يرى من الحق أن يذكر عوامل النجاح أمام هذه العقبات جميعا قائلا : « اننا ندعو بدعوة الله وهى أسمى الدعوات ، وننادى بفكرة الاسلام وهى أقوى الفكر ، ونقدم للناس شريعة القرآن وهى أعدل الشرائع ، وان العالم كله فى حاجة الى هذه الدعوة ، وكل

---

(١) يوسف : ٨٧ (٢) الحجر : ٥٦

ما قد يمهد لها ويهيىء سبيلها . واننا بحمد الله براء من المطامع الشخصية ، بعيدون عن المنافع الذاتية . لا نقصد الا وجه الله ، واننا نترقب تأييد الله ونصرته فمن نصره الله فلا غالب له : فقوة دعوتنا ، وحاجة العالم اليها ، ونبالة مقصدنا . وتأييد الله ايانا هى عوامل النجاح التى لا تثبت أمامها عقبة ، ولا يقف فى طريقها عائق . والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وفى رسالته الى الشباب يذكر أهـداف الدعوة الكبرى فردية واجتماعية ، محلية وعالمية ، ثم يقول :

« يا شباب .. لستم أضعف ممن قبلكم ممن حقق الله على أيديهم هذا المنهاج ، فلا تهنوا وتضعفوا ، وضعوا نصب أعينكم قوله تعالى : **« الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل »**(١) .

« سنربى أنفسنا ليكون منا الرجل المسلم ، وسنربى بيوتنا ليكون منها البيت المسلم ، وسنربى شعبنا ليكون منه الشعب المسلم ، وستكون من بين هذا الشعب الحكومة المسلمة ..

« وسنسير بخطوات ثابتة الى تمام الشوط ، والى الهدف الذى وضعناه لأنفسنا ، وسنصل باذن الله ومعونته : **« ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون »**(٢) .

« وقد أعددنا لذلك ايمانا لا يتزعزع ، وعملا لا يتوقف ، وثقة بالله لا تضعف ، وأرواحا أسعد أيامها يوم تلقى الله شهيدة فى سبيل الله » .

بمثل هذه الروح الدافقة كان يزرع الثقة ، ويبعث الرجاء ، ويحيى الأمل فى انتصار الاسلام فى نفوس طالمـا دمرها اليأس والقنوط .

ويؤكد فى حديث له حتمية النصر للاسلام بأربعة أدلة منها :

---

(١) آل عمران : ١٧٣ (٢) التوبة : ٣٢

* الدليل العقلى من الآيات والأحاديث الكثيرة المنتشرة مثل :
« ليظهــره على الدين كله »(١) **« ويأبى الله الا أن يتم نوره »**(٢)
« ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار » .. الخ .

* الدليل التاريخى ، وهو أن هذا الدين أشد ما يكون قوة ، وأصلب ما يكون عودا ، حين تحيط به النوائب ، كما فى حرب الردة ، وحروب الصليبيين ، والتتار ، حتى ان التتار الغالبين يدخلون مختارين فى دين المغلوبين .

* الدليل الحسابى ، فقد كانت قيادة الحضارة يوما شرقية بحتة على يد الفراعنة والهنود والصين والفرس ، ثم انتقلت الشعلة الى الغرب عن طريق اليونان والرومان ، ثم عادت الى الشرق عن طريق الحضارة الاسلامية ، ثم انتقلت الى الغرب الحديث كما نرى اليوم ، وها نحن ننتظر أن تعود الى الشرق مرة أخرى ، بعد أن أفلس الغرب معنويا وروحيا ، ودمره صراع النفس ، وصراع البيت ، وصراع المجتمع ، وصراع السلام .

٤ — **البــذل** : وهو من أبرز الأخلاق التى ربى عليها الاخوان ، وقد يعبر عنه بالتضحية ، ونعنى به ألا يبخل الأخ على دعوته بجهد ولا مال ولا وقت ، ولا يدخر وسعا فى نشرها ومد شعاعها ، وتأييد دعاتها ، ومساعدة أبنائهــا بالنفس والنفيس ، والغالى والرخيص ، وأن يكون شعار الأخ : أعط ليستفيد غيرك ، وازرع ليحصد الآخرون ، واتعب ليستريح الناس .

وقد استطاع الاخوان بفضل هذا الخلق الأصيل برغم أن أكثريتهم رقاق الحال — أن يقوموا بكل ما تتطلبه الدعوة من نفقات ، وما تستلزمه من مشروعات ، حتى ان منهم من باع دراجته ، ليسهم بثمنها فى بناء دار الاخوان ومسجدهم بالاسماعيلية ، ليذهب بعد ذلك الى مقر الجماعة كل ليلة ماشيا على قدميه مسافة ستة كيلو مترات ذهابا ومثلها ايابا . والعجيب أنه فعل ذلك دون أن يذكره لأحد ، لولا أن المرشد الأول

---

(١) التوبة : ٣٣ ، الفتح : ٢٨ ، الصف : ٩
(٢) التوبة : ٣٢

رحمه الله لاحظ تأخره عن الموعد المحدد أكثر من مرة ، ويبدى أسفه واعتذاره بأشياء أخرى ، حتى اكتشف السبب الحقيقى ، فأكبر اخوانه موقفه وأبوا الا أن يشتروا له دراجة جديدة قدموها هدية اليه ، تقديرا لبذله الكريم ، وشعوره النبيل . واسم الأخ الأوسطى « على أبو العلا » كما فى « مذكرات الدعوة والداعية » .

الجانب البدنى :

ولم يغفل الاخوان فى تربيتهم الجانب البدنى للأخ المسلم ، فالبدن هو مطية الانسان للوصول الى أهدافه ، والقيام بأعبائه الدينية والدنيوية ولهذا جاء فى الحديث الصحيح : « ان لبدنك عليك حقا » .

وهدف الاخوان من هذه التربية :

أولا : صحة الجسم وسلامته من الأمراض ، فان لهذه الصحة أثرها فى النفس وفى العقل ، حتى قالوا قديما : العقل السليم فى الجسم السليم . كما أن الجسم العليل يشل صاحبه عن النهوض بأعبائه . ولهذا كانت العناية بالنظافة والوقاية والعلاج ، ومقاومة العادات الضارة كالسهر الطويل والتدخين وغيرها ، وكان من واجبات الأخ العامل أن يقلل من قهوة البن والشاى ، وأن يمتنع عن التدخين بتاتا .

ثانيا : قوة الجسم ومرونته ، فلا يكفى السلامة من المرض ، بل يجب أن يكون الجسم قويا مرنا قادرا على الحركة بسرعة وسهولة . و « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » . ولهذا كان الاهتمام بالتمرينات الرياضية وألعاب القوى والعدو والسباحة والرماية وما اليها وفى الأثر : « علموا أبناءكم السباحة والرماية وركوب الخيل » .

ثالثا : خشونته وتحمله : فلا تكفى صحة الجسم ولا قوته ، ما لم يألف الخشونة ، ويتعود احتمال المشقات ، وركوب المصاعب ، والاستعداد لمواجهة مختلف الظروف من حر وبرد ، وغور ونجد ، وجلوة وفقد ، وقد قيل : اخشوشنوا فان النعمة لا تدوم .

ولهذا كله اهتم الاخوان بانشاء الأندية الرياضية ، والفرق الكشفية ، وتهيئة الرحلات والمعسكرات دورية وغير دورية ، للتدريب

تجاد على حياة الخشونة والتحمل والصبر على المكاره والمتاعب فى صحارى والجبال ، وتحت وقدة الشمس ، أو وطأة الزمهرير ، أو سقوط لمطر ، مع قلة المـــاء والطعام ، ومع رداءة هذا وسخونة ذاك ، وقد لا يكتفى الاخوة المدربون بهذا ، فيعمدوا الى وضع الحصى أو الرمل عمدا فى العدس أو الفول ونحوه ، ليكون الأخ المسلم قادرا على مواجهة أى ظرف طارىء ، فقد تعود الشدة ، وألف المشقة .

ولا ريب أن كان لهذه التربية التى بلغت درجة العنف فى بعض الأحيان — أثرها البين ، وثمارها الدانية ، فى ميادين الجهاد ، حين دقت ساعته ، ودعا داعيه ، فان الناعمين المترفين لا يصلحون لحمل السلاح ، حين يجد الجد ، انما يصلح له أولوا العزم والصبر من الرجال .

كما كان لها أثرها فى السجون والمعتقلات ، حيث كان ما يقدم من الطعام والشراب جزءا من العقاب ، والنوم على الألواح الخشبية المجـــردة و « الأبراش » لونا من الثواب ، فالأسفلت هو الأصل ، والايذاء هو القانون !

الجانب الجهادى :

ومن جوانب التربية التى تميزت بها حركة الاخوان : التربية الجهادية ، ولا أقول العسكرية . فان مفهوم « الجهاد » أعمق وأشمل من مفهوم العسكرية .

ان العسكرية انضباط وتدريب ، ولكن الجهاد ايمان ، وأخلاق ، وروح وبذل ، مع الانضباط والتدريب أيضا .

ولقد كان معنى الجهاد قبل الاخوان شبه غائب عن التربية الاسلامية والحياة الاسلامية ، فالجماعات الدينية صوفية وغير صوفية لا تعيره التفاتا ، والأحزاب الوطنية انمـــا تهتم بالكفاح السياسى ، والوعاظ والمرشدون فى المساجد وغيرها يعتبرون الجهاد خارج حدود مهمتهم الدينيـــة .

فلما ظهرت حركة الاخوان أحيت مفهوم الجهاد ، ونوهت به ، وجعلت له شأنا أى شأن فى رسائلها وكتبها وفى مجلاتها وجرائدها ، وفى محاضراتها وندواتها ، وفى أشعارها وأناشيدها . واعتبره الامام البنا أحد أركان البيعة العشرة ، وأحد هتافات الجماعة المعبرة عنها : « الجهاد سبيلنا ، والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا » .

ومن الوسائل التى اتخذها الاخوان للتذكير بالجهاد : الاحتفال بالمناسبات الاسـلامية المتصلة به كالغزوات الكبرى مثل : بدر ، وفتح مكة .. ونحوها .

ومن وسائلهم الخاصة تقرير كتاب أو أكثر من كتب السيرة النبوية للقراءة والدراسة فى الأسر الاخوانية ، والسيرة انما هى جهاد متواصل فى سبيل الله ، ولهذا سميت كتب السيرة قديما : المغازى . وسمى كتاب « الجهاد » فى علم الفقه كتاب « السير » .

وكان من أوائل ما قرر على الاخوان حفظه ودراسته من القرآن الكريم : سورة الأنفال ، تأكيدا لهذا المعنى الذى غفل المسلمون عنه .

وكانت ثقافة الاخوان وتربيتهم بصفة عامة ، تنمى فيهم شعور العزة والكرامة ، وخلق البذل والعطاء ، وروح الفداء وحب الاستشهاد ، كما تزرع فيهم معانى الجندية المؤمنة من الطاعة والنظام وانكار الذات فى سبيل الجماعة .

ولقد برزت هذه المعانى مجسمة واضحة يوم نادى المنادى سنة ١٩٤٨ بالجهاد لاستنقاذ فلسطين ، فتعالت الأصوات : أن هبى يا ريح الجنة .. ويا خيل الله اركبى ، فتسابق أبناء الدعوة من كل مكان يريدون أن يحظوا بشرف الجهاد فى الأرض المقدسة ، حتى يدركوا احدى الحسنيين : النصر على اليهود ، أو الشهادة فى سبيل الله .

وانى لا أنسى الأخ الحبيب النقى عبد الوهاب البتانونى ، زميل الدراسة فى معهد طنطا الدينى الثانوى ، وشوقه العارم الى الجهاد فى فلسطين ، حتى أصبح ذلك حلم ليله وشغل نهاره ، وكان يمنعه من تحقيق رغبته الصادقة مانعان :

الأول : أمه التى تحبه كل الحب ، وتحنو عليه أعظم الحنو ، ولاسيما بعد وفاة والده رحمه الله ، وهى لا تطيق فراقه بالبعاد فكيف بالموت لو كان ؟ ولهذا لم تأذن له ، ولم ترض عن تطوعه فى كتائب الاخوان ، وهو حريص على برها وارضائها ، ولا يجب أن ينفر للجهاد بغير رضاها واذنها ، ولهذا صحبنا الى والدته لنحدثها عن فضل الجهاد ومنزلة المجاهدين ، وقصص أبطال المسلمين ، وموقف أمهاتهم منهم ، وما زلنا بها حتى أذنت له — وعيناها تدمعان — بما يحلم به ، ويصبو اليه •

والمـانع الثانى : قرار مكتب الارشاد للاخوان بعدم السماح لطلاب المرحلة الثانوية بالتطوع نظرا لصغر سنهم • وهنا رجانا الأخ البتانونى — رحمة الله عليه — أن نسافر من طنطا الى القاهرة لمقابلة المرشد العام ، والالحاح عليه لقبوله فى كتائب الجهاد ، وبخاصة أن أمه قد أذنت له • وسافرنا — أنا والأخ أحمد العسال والأخ محمد الصفطاوى — وقابلنا الأستاذ البنـا ، وعرضنا عليه الأمر ، وما زلنا به حتى قبل ووافق على سـفره •

وكاد صاحبنا يطير فرحا لهذه النتيجة ، وذكرنا ذلك لأستاذنا البهى الخولى فقال : ان صفاء عبد الوهاب هو صفاء الشهداء ، وانى أحس كلما رأيته أرى دم الشهادة يترقرق فى وجهه • وقد كان ، فقد استشهد عبد الوهاب فى عملية بطولية مع اثنين من اخوانه نسفوا بها مخزنا للذخيرة والسلاح بعد أن دخله اليهود ووضعوا أيديهم عليه ، فأشعل الاخوة النار فى صناديق المفرقعات فاستحال فى لحظة واحدة الى كومة من الأنقاض ، وذهب معه الأبطال الثلاثة الى عليين •

ولم يكن هذا موقف الشهيد البتانونى وحده ، فكم من شباب هربوا من أسرهم ليدخلوا معسكر التدريب فى هايكستب ، وكم حاول بعض الآباء والأعمام أن يثنوهم عن عزمهم ، ويقنعوهم بالعودة فلم يفلحوا أمام اصرارهم ، فعادوا راضين بالواقع ، مؤمنين بأن روح الايمان سرى فى أعماق هذا الجيل فغيره ، فلم يعد يخاف الموت ما دام فى سبيل الله حتى كان بعضهم يقول : يا قوم •• دعونى ، فان الجنة تناديني •

وكم منهم من تحمل أبلغ المشاق ، وركب قطار البضاعة ، أو مشى على قدميه فى صحراء سيناء ليصل الى قواعد اخوانه المجاهدين •

وكم من رجل باع ما يملك ليشترى بندقية أو مدفعا ليقاتل به دفاعا عن أولى القبلتين •

وكم من زوجة قدمت حليها راضية ليبيعها زوجها ليسلح بثمنها نفسه ، وبذلك ساهمت فى الجهاد مرتين : بالتخلى عن أغلى ما تحب ، وبالرضا بفراق أعز من تحب •

ولا زلت أذكر قصة حسن الطويل ، أحد الاخوان المزارعين من مركز بسيون ، وقد سجل اسمه فى كتائب المتطوعين ، تاركا أهله وزراعته وكل شىء رغبة الى ما عند الله • ولم يكتف بذلك بل باع جاموسته — وهى للفلاح كرأس المـال للتاجر — ليشترى بها سلاحا يقاتل به دفاعا عن أرض النبوات • ولمـا قال له الحاج أحمد البس رئيس المنطقة : يا حسن •• دع الجاموسة للعيـال • وحسبك أنك تطوعت بنفسك ، ووضعت روحك على كفك ، وعلى غيرك ممن لم يجاهد بنفسه أن يجاهد بماله • وهنا قال حسن قولة البصير بدينه : هل قال الله تعـالى : جاهدوا بأنفسكم ، أم قال : جاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ؟ وهل اشترى منا النفس وحدها ، أم النفس والمـال جميعا ليعطينا الجنة ؟ هل نسيتم الآية الكريمة : « **ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** »[١] أم تريدون أن نتسلم البضاعة دون أن ندفع لها الثمن •

ولم يملك أحمد ازاء هذا الايمان والاصرار أن يقول شيئا ، وسافر حسن مع المقاتلين ، وعاد مع العائدين ، لا ليكرم ويحتفى به ، ولكن ليزج به فى المعتقل ، جزاء ما قدمت يداه • فى قتال الصهيونيين ! وكان له مع جلاد الغربية فى وقته الضابط سعد الدين السنباطى موقف يذكر بالفخر والاعتزاز •

هذه الروح العالية الفذة . هى التى جعلت اليهود يضطربون رعبا كلما ذكر اسم الاخوان المتطوعين من قريب ، أو سمعوا صيحاتهم : « **الله أكبر** » من بعيد •

ولقـد قال بعضهم للضابط المجاهد معروف الحضرى حين كان

---

(١) التوبة : ١١١

فى الأسر : نحن لا نخاف الا من هؤلاء الاخوان المتطوعين ! فسأله معروف : ولمـــاذا تخشونهم وعددهم قليل وسلاحهم ضئيل ؟! فقال الضابط الصهيونى فى صراحة : نحن انما جئنا من بلاد العالم الى هذه الأرض لنعيش ، وهؤلاء جاءوا اليها ليموتوا ، وما أبعد الفرق بين من يحرص على الحياة ومن يحرص على الموت •

ولقد كان من المشكلات التى تواجه قيادة المجموعات الاخوانية فى الميدان أنها اذا كلفت فصيلة أو فردا بعمل عسكرى ، بقى من الصعب اقناع الفصائل أو الأفراد الآخرين بالبقاء ، فالجميع يتسابقون الى شرف الجهاد ، وقد لا يحل هذا التنافس الا القرعة أو الرضا بالتناوب • وكل فصيلة يقع عليها الاختيـــار للقيام بهجوم يهلل أفرادها ويكبرون ويهتفون : هبى ريح الجنة •• هبى •

ومما رواه الأستاذ كامل الشريف فى مذكراته التى سماها « الاخوان المسلمون فى حرب فلسطين » : أن الشاب المجاهد عبد الحميد خطاب — وهو نجل العالم المؤمن الشجاع الشيخ بسيونى خطاب — طلب اليه فى معركة دير العلم أن يبقى بالمعسكر للحراسة ، فثار وبكى وانتحب ، وما زال بالقائد حتى ضمه الى المقاتلين ، فكان حظه ما كان يتمناه : الشهادة فى سبيل الله •

وما أروع ما سمعت من الاخوة المجاهدين ، وكيف كانوا يستقبلون الموت ، بعد أن يدخلوا المعركة مغتسلين متوضئين ، فى قلوبهم الايمان ، وفى جيوبهم المصاحف ، وفى أيديهم المدافع ، فاذا أصابت أحدهم رصاصة كبر وتشهد ، وقال : « وعجلت اليك رب لترضى »[1] •

وقد نزلت « دانة » من مدفع على ساق أحدهم فبترته ، فكان اخوانه يبكون ، وهو ينظر الى ساقه مبتسما وينشد شعر الصحابى قديما :

ولست أبالى حين أقتـــل مســلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشــأ
يبــارك على أوصــال شــلو ممزع

---

(١) طه : ٨٤

وفى احدى المعارك أصيب قائد الفصيلة وهو الأخ السيد محمد منصور من الشرقية بضربة قاتلة ، فشغل باصابته عدد من اخوانه عن الهجوم ، فما كان منه الا أن نهرهم بشدة ، فالمعركة أهم من حياته . ولما حملوه الى الخطوط الخلفية أفاق من غيبوبته . فكان أول ما سألهم عن سير المعركة ، فأجابوه بما طمأن نفسه ، فابتسم وتمتم : الحمد لله . ولم يزل وهو فى النزع الأخير يدعو الله لدينه وأمته ، ولم يقف لسانه لحظة عن الدعاء : اللهم انصر دعوتنا ، وحقق غايتنا .. حتى مضى الى ربه راضيا مرضيا .

انها أمثلة أعادت الينا ذكريات العصور الأولى ، وأثبتت أن هذه الأمة لا تزال بخير ، وأن مفتاح شخصيتها هو الاسلام . وهو مصنع بطولاتها ، ومفجر طاقاتها ، وأن التغنى بالقومية أو الوطنية لا يحرك هذه الأمة ويوقظها ما لم يحركها نداء الايمان ، وتربية الاسلام .

وقد حكى الأستاذ كامل الشريف فى كتابه « الاخوان المسلمون فى حرب فلسطين » من الوقائع والقصص البطولية ما ينبغى أن يروى للأجيال القادمة ليكون عبرة وذكرى ، وان ذكر أنه لم يسجل الا تجربته هو .

وقد شهد قادة الجيش المصرى فى حرب فلسطين مثل اللواءين المواوى وصادق أمام المحكمة التى حكمت فى قضية سيارة « الجيب » لفدائيى الاخوان بما يثلج صدور المؤمنين ، ويغيظ الذين فى قلوبهم مرض .

قال المواوى : « كان الاخوان ينزعون ألغام اليهود وينسفونهم بها فى صحراء النقب » .

وقال اللواء فؤاد صادق : « كان الاخوان المسلمون جنودا أبطالا أدوا واجبهم كأحسن ما يكون » .

وتمت معركة أخرى تجلت فيها بطولة الاخوان المسلمين ، وأثر تربيتهم الجهادية ..

انها معركة القناة ، وقتال الانجليز ، وفيها كتب الأستاذ الشريف أيضا كتابه « المقاومة السرية فى قناة السويس » •

ولا أحسب أحدا ينسى شهداء الاخوان •• وخصوصا من طلاب الجامعة : عمر شاهين وأحمد المنيسى وعادل غانم ، وغيرهم ممن سطروا بدمائهم الزكية فى معركة التل الكبير وما قبلها وما بعدها أن الحرية لا يمنحها المتسلطون ، انما يأخذها بدمائهم المجاهدون •

بقى أن أقول هنا : ان الاخوان ، وان اهتموا بالقتال ومارسوه بالفعل ، وقدموا فى ساحاته الشهداء تلو الشهداء من خيرة رجالهم — لم يكن هو كل الجهاد عندهم •

لقد كان مما تعلموه من الاسلام أن مفهوم الجهاد أوسع وأشمل من مفهوم القتال •

فاذا كان قتال الغاصبين والمحتلين لأى جزء من أرض الاسلام فريضة محكمة ، ومقاومة الاستعمار الكافر ، والكفر المستعمر ، واجبا دينيا مقدسا ، فان جهاد المنافقين والمبتدعين ، وجهاد الظلمة والفجرة واجب لا يقل قداسة عن ذلك • والقرآن الكريم يقول : « **يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم** »(١) •

والرسول صلى الله عليه وسلم سئل عن أفضل الجهاد فقال : « كلمة حق عند سلطان جائر » •

ومعنى هذا أن مقاومة الفساد الداخلى ، كمقاومة الغزو من الخارج ، كلاهما فريضة ، وكلاهما جهاد •

وقد تحدث النبى صلى الله عليه وسلم عن الأمراء الظلمة الذين يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، وبين واجب الأمة المسلمة حين تبتلى بحكمهم وتسلطهم فقال :

« من جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ،

---

(١) التوبة : ٧٣ ، التحريم : ٩

ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن • وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل » يشير الى أن الجهــاد بالقلب ــ جهاد الكراهية والغضب والنفرة والمقاطعة ــ هو أضعف مراتب الايمان ، وهو لمن عجز عن جهاد اللسان كما أن جهاد اللسان لمن عجز عن جهاد اليد •

فالجهاد اذن ليس للكفار فقط ، ولا بالسيف فحسب ، كيف وقد قال تعــالى : « **يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم** »(١) والمنــافقون لا يجاهدون بالسيف ، لأنهم محسوبون ظاهرا فى عداد المسلمين ، وانما يجاهدون بالبيان والوعظ واقامة الحجة ، والقول البليغ المؤثر فى النفس • كما قال تعالى : « **أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا** »(٢) •

وأصرح من ذلك قول الله لرسوله عن القرآن : « **فلا تطع الكافرين وجاهدهم به** (أى بالقرآن) **جهادا كبيرا** »(٣) وهذا الأمر بالجهاد فى سورة الفرقان ،وهى مكية نزلت قبل أن يؤذن بالقتال فضلا عن أن يؤمر به •

فهذا الجهاد الكبير هو جهاد الدعوة والثبات على تبليغها ، والصبر على مرارتها ، وتحمل مشاقها ، وطول طريقها ، وهو ما تشير اليه كذلك أوائل سورة العنكبوت : « **ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ، ان الله لغنى عن العالمين** »(٤) •

والرسول صلى الله عليه وسلم يبين أدوات الجهاد وألوانه فى شأن الكفار فيقول : « جاهدوا المشركين بأيديكم وأموالكم وألسنتكم » •

وفضلا عن هذا كله •• هناك جهاد النفس حتى تتعلم الاسلام ، وتعمــل به ، وتدعو اليه ، وتثبت على طريقه ، حتى تفوز باحدى الحســنيين •

وجهاد الشيطان الذى يغزو الانسان من داخله ، عن طريق الشبهات يضل بها العقل ، أو الشهوات يغوى بها الارادة ، فلا بد من مقاومته

---

(١) التوبة : ٧٣ ، التحريم : ٩ — (٢) النساء : ٦٣

(٣) الفرقان : ٥٢ — (٤) العنكبوت : ٦

بسلاح اليقين الذى يطرد الشبهات ، وبسلاح الصبر الذى يهزم الشهوات • وبهذا ينتصر على الشيطان عدو الانسان فى معركتيه ، ويرتقى الى مقام الامامة فى الدين على جناحى الصبر واليقين ، كما قال تعالى : « **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون** »(١) •

هذا هو الجهاد بمعناه الواسع فى الاسلام ، وهو — بالتالى — الجهاد فى فهم الاخوان ، وتربية الاخوان ، وسلوك الاخوان •

يقول شيخ الدعوة حسن البنا فى رسالة « التعاليم » شارحا معنى الجهاد كما فهمه من الاسلام ، وكما يريده من أتباعه :

« وأريد بالجهاد : الفريضة الماضية الى يوم القيامة ، والمقصود بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من مات ولم يغز ولم ينو الغزو مات ميتة جاهلية » •

« وأول مراتبه : انكار القلب • وأعلاها : القتال فى سبيل الله • وبين ذلك جهاد اللسان والقلم واليد وكلمة الحق عند السلطان الجائر •

« ولا تحيا الدعوة الا بالجهاد ، وبقدر سمو الدعوة ، وسعة أفقها ، تكون عظمة الجهاد فى سبيلها ، وضخامة الثمن الذى يطلب لتأييدها ، وجزالة الثواب للعاملين : « **وجاهدوا فى الله حق جهاده** »(٢) اهـ •

وتربية الاخوان على الجهاد بهذا المفهوم الرحب هو الذى جعلهم يجاهدون فى سبيل الفكرة الاسلامية ، جهادهم فى سبيل الأرض الاسلامية ، بل الفكرة هى المضمون والغاية ، والأرض هى الوعاء والوسيلة ، ومن أجل هذا وقفوا فى وجه الطواغيت فى الداخل ، وقوفهم فى وجه الطواغيت فى الخارج ، وقاوموا العلمانيين ، مقاومتهم للغاصبين المعتدين ، ولم يجدوا فارقا بين من يعتدى على أرض الاسلام ، ومن يعتدى على شريعة الاسلام • ولهذا خاضوا معركة تحرير الأرض ، كما خاضوا معركة تحكيم الشرع ، وسالت دماؤهم على أيدى الكفار

---

(١) السجدة : ٢٤ (٢) الحج : ٧٨

اليهود والانجليز ، كما سالت دماؤهم على أيدى الفجار ممن يتسمون بأسماء المسلمين ، وقدموا الشهداء على أرض فلسطين والقنـــاة فى ساحات القتال ، وشهداء مثلهم على أرض ليمان طرة والقلعة والسجون الحربية وغيرها فى ساحات التعذيب •

وكم حاولت قوى عديدة ، بارزة ومستترة ، فى الداخل والخارج ، أن تشترى الاخوان بالمـــال أو المنـــاصب ، وبذلك يحتوون الحركة ويسيطرون عليها ، ولكن هذه القوى المـــاكلة القادرة لم تجد عنـــد الاخوان ، ولا عند مرشد الاخوان أذنا صاغية ، انما وجدت الرفض الصارم ، والجواب الحاسم : **« أتمدونن بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون »**[1] •

وكم لجأت هذه القوى الى أسلوب الوعيد بعد أن أخفق أسلوب الوعد ، ولوحت بالتهديد بعد أن خاب الاغراء ، ولم يكن أسلوب الوعيد والتهديد بأنجح من أسلوب الوعد والاغراء • فكلا السهمين ارتد الى نحر صاحبه •• ولم تجد تلك القوى — التى ترجى وتخشى — الا الاصرار على الدعوة ، والثبات عليها ، وان توعدوا بالنار والدمار ، أو وعدوا بوضع الشمس فى اليمين والقمر فى اليسار •

وهذا الاباء الأشم ، والموقف الصلب ، من قضية الاسلام ، وقضايا المسلمين ، ورفض كل محاولة للمساومة عليها أو التفريط فيها ، طالمـــا عرض الحركة لتدبير المكايد لها ، وحياكة المؤامرات لضربها ، بل العمل على اقتلاعها من الجذور ، لو استطاعوا •

وهذا هو السر وراء المحن القاسية المتلاحقة ، والضربات الهمجية المتتابعة ، التى جعلت الجماعة لا تفيق من محنة الا لتدخل فى أخرى •

وبرغم هذا لم تلن قناة الاخوان للوعد والوعيد قبل المحن ، ولا لانت قناتهم أثناء المحن ، ولا لانت كذلك بعد المحن ، لقد صبروا صبر الرجال ، وثبتوا ثبات الأبطال ، وان شئت قلت : ثبات المؤمنين « الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه » •

---

(١) النمل : ٣٦

ومن ضعف منهم يوما — تحت أثقال الضغط والارهاب — فقال كلمة من طرف لسانه ، أو كتب كلمة من طرف قلمه ، يدارى بها الطواغيت ، أو يرجو بهـا الخلاص من جبروت الطغاة ، مترخصا متأولا ، مثل قوله تعـالى : **« الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان »**(١) واثقا من نفسه بأنه لم يشرح بالكفر صدرا ، ولم يخط فى مدح الظلم سطرا ، ولم يتخل عن الاسلام هدفا .. من ضعف منهم يوما ففعل ذلك ، سرعان ما ندم واستغفر ، ورجع الى نفسه باكيا متألمـا ، والى جماعته معتذرا متندما ، والى ربه قبل ذلك تائبا مستغفرا .

الجانب الاجتماعى :

ولقد ربى الاخوان على أن العمل لخير المجتمع جزء من رسالة المسلم فى الحياة ، فقد أشار القرآن الى أن هذه الرسالة ذات شعب ثلاث : شعبة تجسد العلاقة بالله فى العبادة ، وشعبة تجسد العلاقة بالمجتمع فى فعل الخير ، وشعبة تجسد العلاقة بالأعداء فى الجهاد .

وفى هذا يقول الله سبحانه : **« يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلـكم تفلحون ، وجاهـدوا فى الله حق جهـاده »**(٢) .

وجاءت الأحاديث النبوية تؤكد هذا المعنى ، وتبين أن على كل مسلم فى كل يوم ضريبة أو زكاة اجتماعية يؤديها من ماله أو جاهه أو بدنه أو فكره أو لسانه .

روى البخارى عن أبى موسى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « على كل مسلم صدقة » قيل : أرأيت ان لم يجد ؟ قال : « يعتمل بيديه ، فينفع نفسه ويتصدق » قال : أرأيت ان لم يستطع ؟ قال : « يعين ذا الحاجة الملهوف » قيل له : أرأيت ان لم يستطع ؟ قال : « يأمر بالمعروف — أو الخير » قال : أرأيت ان لم يفعل ؟ قال : « يمسك عن الشر فانها صدقة » رواه البخارى ومسلم .

---

(١) النحل : ١٠٦ (٢) الحج : ٧٧ ، ٧٨

ومن هنا كان كل « أخ مسلم » عضوا نافعا فى جماعته ، يفعل الخير ، ويدعو اليه ، ويكره الشر ، وينهى عنه ، يساعد الفقير ، ويأخذ بيد الضعيف ، ويعلم الجاهل ، وينبه الغافل ، ويخوف العاصى ، ويذكر الناسى ، ويعود المريض ، ويشيع الميت ، ويعزى أهله ، ويكرم اليتيم ، ويحض على طعام المسكين ، ويشارك فى كل عمل ينهض بالمجتمع ، ان لم يكن هو السباق له والداعى اليه .

وكانت شعب الاخوان كلها دورا للاصلاح الاجتماعى ، ومراكزا لخدمة الشعب بكل الوسائل المتاحة من تعليم ، الى تدريب ، الى علاج ، الى رعاية اجتماعية ، الى ارشاد دينى وصحى .

وكانت « أقسام البر والخدمة الاجتماعية » فى شعب الاخوان تنشىء المستوصفات الطبية للعلاج بأجور رمزية أو بغير أجر للمحتاجين ، وتجمع الزكوات والصدقات لتوزيعها على المستحقين ، وتفتح الفصول لمحو الأمية ، وتنشىء المدارس لتحفيظ القرآن ، وتعليم الكبار ، وتبنى المساجد الجديدة ، أو تصلح المساجد القديمة ، لتقوم بدورها فى العبادة والهداية ، وتؤلف اللجان لاصلاح ذات البين ، وتسهم فى حل المشكلات التى تواجه الجماعة ، وتذليل العقبات التى تعترض طريق رقيها وصلاحها .

وفلسفة الاخوان فى هذا واضحة مستمدة من طبيعة الاسلام نفسه ، وتصوره للفرد المسلم ، وللجماعة المسلمة . ولكن بعض الناس « حزب التحرير » أنكروا على الاخوان اشتغالهم بهذا الجانب الاجتماعى : بحجة أن هذا يشغل عن نشر الدعوة من ناحية ، كما أنه ترفيع جزئى لا يجدى ، الا أنه يخدر المجتمع عن المطالبة والسعى لاقامة الدولة الاسلامية .

وغفل هؤلاء عن حقائق هامة :

١ — أن فعل الخير جزء لا يتجزأ من مهمة المسلم التى أمره الله بها ، كما بيناه بأدلته من القرآن والسنة . فهو مأمور بفعل الخير والدعوة اليه ، كما هو مأمور بالصلاة والعبادة .

٢ — أن المسلم عضو حى فى جسم مجتمعه ، لابد أن يحس بآلامه ، فلا بد أن يعمل على ازالتها ، أو على الأقل تخفيفها ، ولا يسعه أن يقف متفرجا أمام جائع أو مريض ، وهو يقدر على اعانته أو اسعافه .

٣ — أن عمل الخير نفسه لون من ألوان نشر الدعوة ، فالدعوة كما تنتشر باللسان والقلم ، تنتشر بالاحسان والعمل ، وهذا ما تحرص عليه الارساليات التبشيرية وأمثالها .

٤ — أن فى الجماعات طاقات تقدر على خدمة المجتمع ، ولا تقدر على العمل الفكرى أو التربوى ، فمن الخير ألا تترك فارغة .

الجانب السياسى :

ومن الجوانب الهامة التى عنيت بها التربية الاخوانية : الجانب السياسى . ونعنى بهذا الجانب ما يتصل بشئون الحكم ، ونظام الدولة ، والعلاقة بين الحكومة والشعب . والعلاقة بين الدولة وغيرها من الدول اسلامية وغير اسلامية ، والعلاقة بالمستعمر الغاصب .. وغير ذلك من القضايا العديدة المتنوعة .

وقد كان هذا الجانب قبل دعوة حسن البنا وقيام مدرسته بعيدا عن اهتمام الجماعات الاسلامية ، وبتعبير أصح : الجماعات الدينية — وخارج نطاق نشاطها وتفكيرها . فقد أصبح مفهوم السياسة مقابلا لمفهوم الدين ، كما يقابل الأسود الأبيض فلا يتصور اجتماعهما فى شخص أو فى جماعة ، والناس رجلان : اما رجل دين ، واما رجل سياسة ، والجماعات نوعان : اما جماعة دينية ، واما جماعة سياسية .

وحرام على رجل الدين أن يشتغل بالسياسة ، كما يحرم على رجل السياسة أن يشتغل بالدين ، ومثل ذلك تدخل الجماعة الدينية فى الشئون السياسية ، أو السياسية فى شئون الدين . وقد يتجاوز ويتسامح فى تدخل رجل السياسة أو جماعة السياسة فى الدين ، أما الذنب الذى لا يغتفر ولا يتسامح فيه عند الناس يومئذ فهو أن يتدخل رجل الدين أو الجماعة الدينية فى القضايا السياسية .

وعلى هذا الأساس قامت فى مصر — كما فى غيرها — جماعات دينية

الطابع كالطرق الصوفية والجمعيات المختلفة التى تنص فى صلب لوائحها وأنظمتها الأساسية : أنها لا صلة لها بالسياسة .

وتقابلها تجمعات أخرى لا شأن لها بالدين ، وهى التى أطلق عليها اسم « الأحزاب » مثل الحزب الوطنى أو حزب الأمة أو حزب الوفد ، وما انشق عنه ، وحزب الدستور وغيرها . فهذه الأحزاب تشترك كلها فى طابعها « العلمانى » . ففكرها النظرى وسلوكها التطبيقى قائمان على أساس عزل الدين عن الدولة ، وفصل الدولة عن الدين .

كما تؤمن كلها بالوطنية الاقليمية الضيقة . التى قامت تحيى نزعات جاهلية قديمة ، كالفرعونية فى مصر . والفينيقية فى سورية ، والآشورية فى العراق .. ومن لم يؤمن منها بالنزعة الوطنية آمن بالنزعة القومية مثل : القومية الطورانية فى تركية ، والقومية العربية فى بلاد العرب ، والقومية السورية فى سورية الكبرى .

كان على « حسن البنا » أن يخوض معركة حامية الوطيس . لمطاردة المفاهيم الخاطئة عن العلاقة بين الدين والسياسة ، تلك المفاهيم التى غرسها الجهل والهوى ، وتعهدها الاستعمار الثقافى بالسعى والرعاية حتى تغلغلت جذورها وامتدت فروعها .

وكان لابد من حــرب الفكرة الخاطئة بالفكرة الصحيحة وهى « شمول الاسلام » لكل جوانب الحياة .. ومنها السياسة ، كما دل على ذلك القرآن والحديث ، وهدى الرسول وسيرة الصحابة ، وعمل الأمة كلها طوال ثلاثة عشر قرنا أو تزيد .

وللامام الشهيد فى ذلك كلمات تكاد تكون محفوظة لدى جمهور الاخوان ، من ذلك قوله فى احدى رسائله :

« اذا قيل لكم : الام تدعون ؟ فقولوا : نحن ندعو الى الاسلام الذى جاء به محمد — صلى الله عليه وسلم — والحكومة جزء منه . والحرية فريضة من فرائضه .

« فان قيل لكم : هذه سياسة ، فقولوا : هذا هو الاسلام ، ونحن لا نعرف هذه الأقسام » !.

وتقوم التربية السياسية لدى مدرسة « حسن البنا » على جملة دعائم ، أهمها :

١ — تقوية الوعى والشعور بوجوب تحرير الأرض الاسلامية من كل سلطان أجنبى ، واجلاء المستعمر الغاصب عن ديار الاسلام بكل وسيلة مشروعة ، ابتداء بالوطن الصغير ، وادى النيل شماله وجنوبه — مصر والسودان — فالوطن العربى الكبير من المحيط الى الخليج ، وأشهد أن هذا التحديد للوطن العربى كان أول ما سمعته من الامام البنا رضى الله عنه .. فالوطن الاسلامى الأكبر من المحيط الى المحيط : من الهادى الى الأطلسى : من أندونيسيا وما جاورها شرقا الى مراكش غربا .

وبهذا الفهم اتسع أفق « الأخ المسلم » ليسع الأمة الاسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها فضلا عن الأمة العربية . فلم يحبس نفسه فى قمقم الوطنية الضيقة أو القومية المتعصبة ، شأن الأحزاب السياسية السائدة فى تلك الأيام .

ومن هنا اهتم الاخوان فى مصر بقضية بلدهم الذى يعيشون فيه ومطالبه الوطنية التى تمثلت فى جلاء الانجليز عن مصره وسودانه ، ووحدة وادى النيل ، وعقد الاخوان لذلك مؤتمرات كبرى فى كافة محافظات مصر ومدنها الكبيرة لتوعية أبناء الشعب بمطالبه ، وأعلن هنا أنى لم أفهم هذه المطالب حق الفهم الا من لسان حسن البنا حين وقف فى مؤتمر طنطا يشرحها ويردها الى أصولها .

وكان الامام الشهيد فى هذه المؤتمرات يوضح الأهداف ، ويوضح معها الوسائل الواجب اتخاذها ، من المطالبة لدى الهيئات الدولية ، وكسب الرأى العام العالمى ، الى المقاطعة الاقتصادية لسلع المستعمر ومنتجاته . الى التعبئة واعلان الجهاد المقدس ، فاما أن نعيش سعداء أحرارا ، واما أن نموت شهداء أبرارا .

ولا زلت أذكر المرشد الشهيد وهو يتحدث فى هذا المؤتمر عن سلاح المقاطعة وأثره الفعال ، وقدرة الشعب المصرى على استخدام هذا السلاح ، وأنه شعب قنوع صبور ، قادر فى ساعة الجد أن يقنع

بالقليل ، ويرضى باليسير ، ذاكرا فى ذلك من الأمثال الشعبية ما يؤيد هذه الوجهة ، ومستشهدا ببعض الوقائع التاريخية القريبة لدى بعض الشعوب الاسلامية •

ومما قاله يومئذ : « سنخرج للشعب فتاوى ابن حزم المخبوءة فى بطون الكتب من أن العدو المشرك نجس كله ، لا يجوز مسه ولا التعامل معه **« انما المشركون نجس »**[١] •

وزاد حسن البنا على ذلك فطالب الاخوان — خاصة . والمسلمين عامة فى وادى النيل بأن يقنتوا فى الركعة الأخيرة من كل صلاة ، وبخاصة الصلوات الجهرية ، وبعد القيام من الركوع « قنوت النوازل » بأن يدعوا الله عندما تشتد الأزمات عليهم أن يفرج الله عنهم الكربة ، ويكشف الغمة ، اقتداء بالنبى — صلى الله عليه وسلم — حينما كان يدعو فى صلواته على المشركين المعتدين ، وللمسلمين المستضعفين • وليس هناك أزمة أشد من فقد الحرية والاستقلال وتحكم الكافر فى رقبة المسلم ، مع أن الله تعـالى يقول : **« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »**[٢] **« ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا »**[٣] •

وقد وضع الامام البنا صيغة للدعاء فى هذا القنوت يدعو بها وبمثلها المصلون ، لا زلت أحفظها من كثرة ما دعوت بها فى الصلاة على رغم مرور ثلث قرن من الزمان : « اللهم رب العالمين ، وأمان الخائفين ، ومذل المتكبرين ، وقاصم الجبارين ، تقبل دعاءنا ، وأجب نداءنا • اللهم انك تعلم أن هؤلاء الغاصبين من الانجليز قد احتلوا أرضنا ، وغصبوا حقنا •• وطغوا فى البلاد ، فأكثروا فيها الفساد •• اللهم فرد عنا كيدهم . وفل حدهم ، وأذل دولتهم ، وأذهب عن أرضك سلطانهم . وخذهم ومن وادهم أو عاونهم أو ناصرهم أخذ عزيز مقتدر •• اللهم ولا تدع لهم سبيلا على أحد من عبادك المؤمنين » •

وبهذا لم تعد القضية الوطنية شيئا فى حاشية شعور الأخ المسلم ، أو على هامش حياته • بل انها حاضرة فى وعيه وحسه ، تصاحبه فى بيته

---

(١) التوبة : ٢٨ (٢) المنافقون : ٨
(٣) النساء : ١٤١

ومسجده ، وخلوته وجلوته ، وتحيا فى أعماق كيانه واضحة حية ملتهبة .

ولهـذا لم يكن الانجليز يخافون شيئا كما يخافون من هؤلاء « المتعصبين » لدينهم ، ويخشون أن يتحول الشعور الوطنى الى شعور اسلامى متأجج لا يعبأ بشىء فى سبيل غايته ، ولا يبالى : أوقع على الموت أم وقع الموت عليه .

ولا ريب أن تكون هذه المواقف العقـائدية للحركة الاسلامية ومؤسسها وراء مؤامرات الكيد لها عند الحكومات الوطنية العلمانية ، كما أثبت ذلك اجتماع سفراء انجلترا وأمريكا وفرنسا فى قاعدة « فايد » العسكرية بمنطقة « القناة » سنة ١٩٤٨ الذى طالب حكومة النقراشى باشا رئيس الحزب السعدى المصرى بحل جماعة الاخوان المسلمين . وكان ما كان .

كانت هذه بعض ملامح من تربية الاخوان فيما يتعلق بوطنهم الصغير : وادى النيل . ولم يشغلهم ذلك عن الاهتمام بقضايا وطنهم العربى الكبير ، ووطنهم الاسلامى الأكبر . وأولى هذه القضايا بغير شك كانت قضية أرض النبوات ، ومهد الرسالات ، أرض أولى القبلتين ، وثالث المسجدين الشريفين : قضية فلسطين ، التى عنى بها الاخوان فى وقت مبكر ، ونوهوا بشأنها ونبهوا على خطرها ، وأصدروا من أجلها بيـانات ونشرات ، وأعدادا خاصة من مجلتهم ، وعقـدوا الندوات والمؤتمرات فى سبيلها ، وطالمـا انتهزوا فرصة ذكرى « وعد بلفور » فى الثانى من نوفمبر من كل عام ، لاخراج المسيرات ، وتسيير المظاهرات ، توعية للرأى العام . وايقاظا للشعور بأهمية القضية . ومن قرأ مجلات الاخوان القديمة « فى الثلاثينات » رأى من ذلك العجب العجاب .

كانت الرؤية واضحة لدى كل أخ مسلم بقضية فلسطين . وكان احساسه بها حيا دافقا ، فى الوقت الذى كان جمهور النـاس فى مصر لا يشعرون بأهمية هذه القضية ، ولا بخطر اليهودية الطامعة المتوثبة بجوارهم ، حتى قال رئيس حكومة مصرية يوما وقد سئل عن رأيه فى ذلك : أنا رئيس وزراء مصر لا رئيس وزراء فلسطين !

وكانت خطب الامام الشهيد ومحاضراته عن فلسطين ، ومقالاته

النارية فى مجلات الاخوان وصحيفتهم اليومية مثل : صناعة الموت •• وفن الموت •• وهبى يا رياح الجنة •• وغيرها ، تهيىء الأنفس ليوم آت لا ريب فيه • فلما جاء هذا اليوم ، ونادى المنادى : أن حى على الجهاد ، آتت هذه التربية والتوعية أكلها ، وتجلت آثارها فى اقبال الألوف من شباب الاخوان بل من شيوخهم أحيانا — على مكاتب التطوع للجهاد فى سبيل الأرض المقدسة ، وكانت معارك الجهاد والبطولة والاستشهاد فى سبيل الله ، مما يعرفه اليهود أنفسهم أكثر من غيرهم •

ولم ينس الاخوان قضايا سورية ولبنان فى المشرق العربى •• ولا قضايا الشمال الافريقى أو المغرب العربى : تونس والجزائر ومراكش ، وقد كان المركز العام للاخوان بمثابة « دار العائلة » لزعماء هذه البلاد وقادة التحرير فيها •

وقل مثل ذلك بالنسبة لقضايا التحرير فى البلاد الاسلامية كلها مثل أندونسيا وغيرها ، فقد كان الاخوان يعتبرونها قضاياهم • ويحيون فيها فكرا وشعورا ، وان بعدت عن أبدانهم الدار ، وشط المزار •

٢ — الدعامة الثانية : ايقاظ الوعى والشعور بفرضية اقامة « الحكم الاسلامى » وضرورته ، فهو فريضة شرعية ، وضرورة قومية وانسانية •

أما أنه فريضة ، فقد أوجب الله على الحكام والمحكومين أن يرجعوا الى حكمه وحكم رسوله فى كل شئونهم ، ولم يجعل لها فى ذلك خيارا بموجب عقد الايمان فى صدورهم •

فأما الحكام فحسبنا قوله تعالى : **« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »**[١] •• **« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون »**[٢] •• **« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون »**[٣] •

وأما المحكومون فحسبنا قول الله تعالى : **« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما »**[٤] •

---

(١) المائدة : ٤٤
(٢) المائدة : ٤٥
(٣) المائدة : ٤٧
(٤) النساء : ٦٥

وحسب الجميع قوله تعالى : **« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم »**(١) ، **« انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا ، وأولئك هم المفلحون »**(٢) .

وأما أنه ضرورة قومية وانسانية ، فلأن أمتنا خاصة ، والبشرية عامة . جربت الفلسفات البشرية ، والأنظمة الوضعية ، فلم تجن من ورائها السعادة التى ترجوها ، والحياة الطيبة التى تنشدها . بل فقدت كل معنى جميل تسعى اليه وتحرص عليه . فقد الفرد سكينة نفسه ، وفقدت الأسرة استقرارها وترابطها ، وفقد المجتمع تماسكه وتوازنه ، وفقد العالم كله أمنه وسلامه .

ولا بد للبشرية من طب جديد يعالج أدواءها ، دون أن يجلب عليها أمراضا جديدة .

اذا استشفيت من داء بداء فأقتل ما أعلك ما شفاك !

وليس هذا الطب الجديد الا الاسلام الذى جمع الله فيه بين مصالح الدنيا والآخرة ، بين مطالب الجسم وتطلعات الروح .. بين حظ النفس وحق الله تعالى ، بين حرية الفرد ومصلحة الجماعة ، ولا غرو فهو عدل الله بعباده ، وشرعه الخالق لاصلاح خلقه **« ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »**(٣) .

وقد أكد حسن البنا على هذا المعنى الأساسى فى كل رسائله وكافة محاضراته : المطالبة بحكم القرآن — واقامة دولة الاسلام ، محاربا بذلك الفكرة « العلمانية » الخبيثة الدخيلة التى تنادى بفصل الدين عن الدولة فى الحكم والتشريع والتعليم والاعلام وغيرها ، فلئن جاز هذا فى عرف النصرانية التى يقول انجليها : « دع ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » ! لا يجوز ذلك أبدا فى عرف الاسلام الذى لا يقبل قسمة الحياة

---

(١) الأحزاب : ٣٦ (٢) النور : ٥١
(٣) الملك : ١٤

ولا قسمة الانسان بحال من الأحوال ، بل يعتبر قيصرا وما لقيصر ، والحياة كلها والانسان كله لله الواحد القهار .

يقول الامام الشهيد فى رسالته « الى الشباب » : « نريد (الحكومة المسلمة) التى تقود الشعب الى المسجد ، وتحمل به الناس على هدى الاسلام من بعد ، كما حملتهم على ذلك بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبى بكر وعمر من قبل . ونحن لهذا لا نعترف بأى نظام حكومى لا يرتكز على أساس الاسلام ، ولا يستمد منه ، ولا نعترف بهذه الأحزاب السياسية ، ولا بهذه الأشكال التقليدية التى أرغمنا أهل الكفر وأعداء الاسلام على الحكم بها والعمل عليها .. وسنعمل على احياء نظام الحكم الاسلامى بكل مظاهره ، وتكوين الحكومة الاسلامية على أساس هذا النظام » .

وفى « رسالة المؤتمر الخامس » يعرض لهذه النقطة بمزيد من الايضاح والبيان فيجيب عن تساؤلات الناس عن « موقف الاخوان من الحكم » فيقول :

« ويتساءل فريق آخر من الناس : هل فى منهاج الاخوان المسلمين أن يكونوا حكومة وأن يطالبوا بالحكم ؟ وما وسيلتهم الى ذلك ؟ ولا أدع هؤلاء المتسائلين أيضا فى حيرة ، ولا نبخل عليهم بالجواب . فالاخوان المسلمون يسيرون فى جميع خطواتهم وآمالهم وأعمالهم على هدى الاسلام الحنيف كما فهموه ، وكما أبانوا عن فهمهم هذا فى أول هذه الكلمة — وهذا الاسلام الذى يؤمن به الاخوان المسلمون يجعل الحكومة ركنا من أركانه ، ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الارشاد . وقديما قال الخليفة الثالث رضى الله عنه : « ان الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن » ، وقد جعل النبى صلى الله عليه وسلم الحكم عروة من عرى الاسلام — والحكم معدود فى كتبنا الفقهية من العقائد والأصول ، لا من الفقهيات والفروع ، **فالاسلام حكم وتنفيذ ، كما هو تشريع وتعليم ، كما هو قانون وقضاء ، لا ينفك واحد منها عن الآخر** — والمصلح الاسلامى ان رضى لنفسه أن يكون فقيها مرشدا يقرر الأحكام ويرتل التعاليم ويسرد الفروع والأصول وترك أهل التنفيذ يشرعون للأمة

ما لم يأذن به الله ويحملونها بقوة التنفيذ على مخالفة أوامره ، فان النتيجة الطبيعية أن صوت هذا المصلح سيكون صرخة فى واد ونفخة فى رماد كما يقولون .

« قد يكون مفهوما أن يقنع المصلحون الاسلاميون برتبة الوعظ والارشاد اذا وجدوا من أهل التنفيذ اصغاء لأوامر الله وتنفيذا لأحكامه ، وايصالا لآياته وأحاديث نبيه صلى الله عليه وسلم ، **وأما والحال كما نرى : التشريع الاسلامى فى واد والتشريع الفعلى والتنفيذى فى واد آخر ، فان قعود المصلحين الاسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة اسلامية لا يكفرها الا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدى الذين لا يدينون بأحكام الاسلام الحنيف** ــ هذا كلام واضح لم نأت به من عند أنفسنا ، ولكننا نقرر به أحكام الاسلام الحنيف ، **وعلى هذا فالاخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم ، فان وجدوا من الأمة من يستعد لحمل هذا العبء وأداء هذه الأمانة والحكم بمنهاج اســلامى قرآنى فهم جنوده وأنصاره وأعوانه ، وان لم يجدوا فالحكم من منهاجهم ، وسيعملون لاستخلاصه من أيدى كل حكومة لا تنفذ أوامر الله .**

« وعلى هذا فالاخوان أعقل وأحزم من أن يتقدموا لمهمة الحكم ونفوس الأمة على هذا الحال ، فلا بد من فترة تنتشر فيها مبادىء الاخوان وتسود ويتعلم فيها الشعب كيف يؤثر المصلحة العــامة على المصلحة الخاصة ..

« وكلمة لا بد أن نقولها فى هذا الموقف هى أن الاخوان المسلمين لم يروا فى حكومة من الحكومات التى عاصروها ــ لا الحكومة القــائمة ولا الحكومة السابقة ولا غيرهما من الحكومات الحزبية ــ من ينهض بهذا العبء ، أو من يبدى الاستعداد الصحيح لمناصرة الفكرة الاسلامية ، فلتعلم الأمة ذلك ولتطالب حكامها بحقوقها الاسلامية وليعمل الاخوان المســلمون .

« وكلمة ثانية أنه ليس أعمق فى الخطأ من ظن بعض النــاس أن الاخوان المسلمين كانوا فى أى عهد من عهود دعوتهم مطية لحكومة من

الحكومات ، أو متفذين لغاية غير غايتهم ، أو عاملين على منهاج غير منهاجهم ، فليعلم ذلك من لم يكن يعلمه من الاخوان ومن غير الاخوان » .

ولا ينسى حسن البنــا رحمه الله فى رسالته هذه الجامعة الى المؤتمر الخامس للاخوان أن يبين بصراحة موقف الحركة من استخدام القوة العسكرية ، أو اللجوء الى الثورة الشعبية العامة ، فيقول :

« ويتساءل كثير من الناس : هل فى عزم الاخوان المسلمين أن يستخدموا القوة فى تحقيق أغراضهم والوصول الى غايتهم ؟ وهل يفكر الاخوان المسلمون فى اعداد ثورة عامة على النظام السياسى أو النظام الاجتماعى فى مصر ؟ ولا أريد أن أدع هؤلاء المتسائلين فى حيرة ، بل انى أنتهز هذه الفرصة فأكشف اللثام عن الجواب السافر لهذا فى وضوح وفى جلاء ، فليسمع من يشاء .

« أما القوة فشعار الاسلام فى كل نظمه وتشريعاته ، فالقرآن الكريم ينادى فى وضوح وجلاء : **« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »**(١) والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : « المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف » ، بل ان القوة شعار الاسلام حتى فى الدعاء وهو مظهر الخشوع والمسكنة ، واسمع ما كان يدعو به النبى صلى الله عليه وسلم فى خاصة نفسه ويعلمه أصحابه ويناجى ربه : « اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » ألا ترى فى هذه الأدعية أنه قد اســتعاذ بالله من كل مظهر من مظاهر الضعف — ضعف الارادة بالهم والحزن ، وضعف الانتاج بالعجز والكسل ، وضعف الجيب والمــال بالجبن والبخل ، وضعف العزة والكرامة بالدين والقهر — فماذا تريد من انسان يتبع هذا الدين الا أن يكون قويا فى كل شىء شعاره القوة فى كل شىء ؟ فالاخوان المسلمون لابد أن يكونوا أقوياء ، ولابد أن يعملوا فى قوة .

« ولكن الاخوان المسلمين أعمق فكرا وأبعد نظرا من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر فلا يغوصون الى أعماقهــا ولا يزنوا نتائجها

---

(١) الأنفال : ٦٠

وما يقصد منها وما يراد بها ، فهم يعلمون أن أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والايمان ، ويلى ذلك قوة الوحدة والارتباط ، ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح — ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعانى جميعا ، وأنها اذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهى مفككة الأوصال مضطربة النظام أو ضعيفة العقيــدة خامدة الايمان فسيكون مصيرها الفناء والهلاك — هذه نظرة ، ونظرة أخرى ، هل أوصى الاسلام — والقوة شعاره — باستخدام القوة فى كل الظروف والأحوال ؟ أم حدد لذلك حدودا واشترط شروطا ووجه القوة توجيها محدودا ؟ — ونظرة ثالثة — هل تكون القوة أول علاج أم أن آخر الدواء الكى ؟ وهل من الواجب أن يوازن الانسان بين نتائج استخدام القوة النافعة ونتائجها الضارة وما يحيط بهذا الاستخدام من ظروف ؟ أم من واجبه أن يستخدم القوة وليكن بعد ذلك ما يكون ؟ هــذه نظرات يلقيها الاخوان المسلمون على أسلوب استخدام القوة قبل أن يقدموا عليه — والثورة أعنف مظــاهر القوة ، فنظر الاخوان المسلمين اليهــا أدق وأعمق ، وبخاصة فى وطن كمصر جرب حظه فى الثورات فلم يجن من ورائها الا ما تعلمون . وبعد كل هذه النظرات والتقديرات أقول لهؤلاء المتسائلين : ان الاخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدى غيرها ، وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الايمان والوحدة ، وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صرحاء سينذرون أولا ، وينتظرون بعد ذلك ثم يقدمون فى كرامة وعزة ، ويحتملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضاء وارتياح — أما الثورة فلا يفكر الاخوان المسلمون فيها ، ولا يعتمدون عليها ، ولا يؤمنون بنفعهــا ونتائجها ، وان كانوا يصارحون كل حكومة فى مصر بأن الحال اذا دامت على هذا المنوال ولم يفكر أولوا الأمر فى اصلاح عاجل وعلاج سريع لهذه المشاكل فسيؤدى ذلك حتما الى ثورة ليست من عمل الاخوان المسلمين ولا من دعوتهم ، ولكن من ضغط الظروف ومقتضيات الأحوال ، واهمال مرافق الاصلاح ، وليست هذه المشاكل التى تتعقد بمرور الزمن ويستفحل أمرها بمضى الأيام الا نذيرا من هذه النذر ، فليسرع المنقذون بالأعمال » .

٣ — الدعامة الثالثة : ايقاظ الوعى والشعور بوجوب الوحــدة الاسلامية وضرورتها . فهى أيضا فريضة دينية ، ضرورة دنيوية .

أما فريضتها ، فلأن الله جعل المسلمين « أمة واحدة » يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم « **وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقــون** »(١) •

كما أوجب الاسلام أن يكون للمسلمين — حيثما كانوا — ومهما اتسعت أقطارهم — « امام » واحد ، هو رأس دولتهم ، ورمز وحدتهم ، حتى ان « من مات وليس فى عنقه بيعة لامام مات ميتة جاهلية » رواه مسلم •

وأما ضرورة هذه الوحدة ، فلما هو معلوم من أن الاتحاد قوة ، والتفرق ضعف ، فاللبنة الواحدة بمفردها ضعيفة ، ولكن اللبنة الى اللبنة تكون بنيانا متينا يشد بعضه بعضا ، يصعب هدمه أو النيل منه •

ولهذا رأينا الامام الشهيد ينادى بالوحدة الاسلامية . ويدعو الى التفكير بجد لاعادة الخلافة ، وينتهز كل فرصة لتأكيد هذه المعانى وتثبيتها فى عقول الاخوان وقلوبهم ، حتى يشب عليها الصغير ويهرم عليها الكبير •

وهو لا يرى تنافيا بين الدعوة الى الوحدة الاسلامية . والدعوة الى الوحدة الوطنية ، أو الوحدة العربية ، اذا فهمت كل منها الفهم السليم ، ووضعت فى موضعها الصحيح •

استمع اليه فى « رســالة المؤتمر الخامس » وهو يبين موقف الاسلام — وبالتالى موقف الاخوان — من هذه الألوان أو المراتب من الوحدة « الوطنية والعربية والاسلامية » فيقول :

« ان الاسلام قد فرضها فريضة لازمة لا مناص منها أن يعمــل كل انسان لخير بلده وأن يتفانى فى خدمته ، وأن يقدم أكبر ما يستطيع من الخير للأمة التى يعيش فيها ، وأن يقدم فى ذلك الأقرب فالأقرب رحما وجوارا ، حتى أنه لم يجز أن تنقل الزكوات أبعد من مسافة القصر

---

(١) المؤمنون : ٥٢

الا لضرورة ، ايثارا للأقربين بالمعروف ، فكل مسلم مفروض عليه أن يسد الثغرة التي هو عليها وأن يخدم الوطن الذى نشأ فيه ، ومن هنا كان المسلم أعمق الناس وطنية وأعظمهم نفعا لمواطنيه ، لأن ذلك مفروض عليه من رب العالمين ، وكان الاخوان المسلمون أشد الناس حرصا على خير وطنهم ، وتفانيا فى خدمة قومهم ، وهم يتمنون لهذه البلاد العزيزة المجيدة كل عزة ومجد وكل تقدم ورقى ، وكل فلاح ونجاح وقد انتهت اليها رياسة الأمم الاسلامية بحكم ظروف كثيرة تضافرت على هذا الوضع الكريم •

« ثم ان هذا الاسلام الحنيف نشأ عربيا ووصل الى الأمم عن طريق العرب • وجاء كتابه الكريم بلســان عربى مبين وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين ، وقد جاء فى الأثر : « اذا ذل العرب ذل الاسلام » وقد تحقق هذا المعنى حين دال سلطان العرب السياسى وانتقل الأمر من أيديهم الى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن اليهم ، فالعرب هم عصبة الاسلام وحراسه — وأحب هنا أن ننبه الى أن الاخوان المسلمين يعتبرون العروبة كما عرفها النبى صلى الله عليه وســلم فيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل رضى الله عنه : « ألا ان العربية اللسان • ألا ان العربية اللسان » ومن هنا كانت وحدة العرب أمرا لابد منه لاعادة مجد الاسلام واقامة دولته واعزاز سلطانه — ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لاحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها وهذا هو موقف الاخوان المسلمين من الوحدة العربية •

« بقى علينا أن نحدد موقفنا من الوحدة الاسلامية — والحق أن الاسلام كما هو عقيدة وعبادة ، هو وطن وجنسية ، وأنه قد قضى على الفوارق النسبية بين الناس فالله تبارك وتعالى يقول : « **انمــا المؤمنون اخــوة** »(١) والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : « المسلم أخو المسلم » « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من ســـواهم » •

« فالاسلام والحالة هذه لا يعترف بالحدود الجغرافية ولا يعتبر الفوارق الجنسية الدموية ، ويعتبر المسلمين جميعا أمة واحدة ، ويعتبر

---

(١) الحجرات : ١٠

الوطن الاسلامى وطنا واحدا مهما تباعدت أقطاره وتناءت حدوده ، وكذلك الاخوان المسلمون يقدسون هذه الوحدة ويؤمنون بهذه الجامعة ويعملون لجمع كلمة المسلمين واعزاز أخوة الاسلام ، ينادون بأن وطنهم هو كل شبر أرض فيه مسلم يقول لا اله الا الله محمد رسول الله » .

ويرد الامام البنا على اليائسين والموئسين من توحيد كلمة المسلمين ، الذين يقولون : ان هذا غير ممكن والعمل له عبث لا طائل تحته ، ومجهود لا فائدة منه ، وخير للذين يعملون لهذه الجامعة أن يعملوا لأقوامهم ويخدموا أوطانهم الخاصة بجهودهم — بأن هذه لغة الضعفه والاســتكانة .

« فقد كانت هذه الأمم مفرقة من قبل متخالفة فى كل شىء : فى الدين واللغة ، والمشاعر والآمال ، فوحدها الاسلام وجمع قلوبها على كلمة سواء ، وما زال الاسلام كما هو بحدوده وبرسومه فاذا وجد من أبنائه من ينهض بعبء الدعوة اليه وتجديده فى نفوس المسلمين فانه يجمع هذه الأمم جميعا من جديد كما جمعها من قديم ، والاعادة أهون من الابتداء والتجربة أصدق دليل على الامكان .

« وضح اذن أن الاخوان المسلمين يحترمون قوميتهم الخاصة باعتبارها الأساس الأول للنهوض المنشود ولا يرون بأســا بأن يعمل كل انسان لوطنه وأن يقدمه فى الوطن على ســواه ثم هم بعد ذلك يؤيدون الوحدة العربية باعتبارها الحلقة الثانية فى النهوض ، ثم هم يعملون للجامعة الاسلامية باعتبارها السياج الكامل للوطن الاسلامى العام — ولى أن أقول بد هذا ان الاخوان يريدون الخير للعالم كله فهم ينادون بالوحدة العالمية لأن هذا هو مرمى الاسلام وهدفه ومعنى قول الله تبارك وتعالى : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »(١) .

« وأنا فى غنى بعد هذا البيان عن أن أقول انه لا تعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار ، وبأن كلا منها تشد أزر الأخرى وتحقق الغاية منها ، فاذا أراد أقوام أن يتخذوا من المناداة القومية الخاصة سلاحا

(١) الانبياء : ١٠٧

يميت الشعور بما عداها فالاخوان المسلمون ليسوا معهم ولعل هذا هو الفارق بيننا وبين كثير من الناس .

« ولعل من تمام هذا البحث أن أعرض لموقف الاخوان المسلمين من الخلافة وما يتصل بها ، وبيان ذلك أن الاخوان يعتقدون أن الخلافة رمز الوحدة الاسلامية ، ومظهر الارتباط بين أمم الاسلام ، وأنها شعيرة اسلامية يجب على المسلمين التفكير فى أمرها والاهتمام بشأنها ، والخليفة مناط كثير من الأحكام فى دين الله . ولهذا قدم الصحابة رضوان الله عليهم النظر فى شأنها على النظر فى تجهيز النبى صلى الله عليه وسلم ودفنه حتى فرغوا من تلك المهمة واطمأنوا الى انجازها .

« والأحاديث التى وردت فى وجوب نصب الامام وبيان أحكام الامامة وتفصيل ما يتعلق بها لا تدع مجالا للشك فى أن من واجب المسلمين أن يهتموا بالتفكير فى أمر خلافتهم منذ حورت عن مناهجها ثم ألغيت بتاتا الى الآن — والاخوان المسلمون لهذا يجعلون فكرة الخلافة والعمل لاعادتها فى رأس مناهجهم ، وهم مع هذا يعتقدون أن ذلك يحتاج الى كثير من التمهيدات التى لابد منها ، وأن الخطوة المباشرة لاعادة الخلافة لابد أن تسبقها خطوات » .

هذه معالم التربية السياسية للاخوان ، انها تربية جديدة تخالف التربية التى كانت تقوم عليها الأحزاب والمنظمات السياسية ، ان صح أن كان لديها تربية من نوع ما .

كانت تربية الاخوان تربية اسلامية خالصة ، لأنها تستمد مقوماتها ومفاهيمها من الاسلام وحده ، وكانت تربية ايجابية واعية ، تقــوم على الفهم لا التهريج ، وعلى العمل لا الكلام ، وعلى البناء لا الهدم ، وعلى الحق لا الهوى ، وعلى التضحية وانكار الذات ، لا على المغانم واتباع الشهوات .



الإيجابية والبناء

كما تميزت التربية الاسلامية لدى الاخوان بالتأكيد والتركيز على الجانب الايمانى أو الربانى ، وبالتكامل والشمول فى جوانب التربية ، تميزت كذلك بخصيصة هامة ، هى الاتجاه الى الايجابية والبناء •

كان « حسن البنـــا » مؤسس الحــركة له من اسمه نصيب أى نصيب ، فكان حقا رجل بناء لا رجل هدم ، ورجل عمل لا رجل كلام ، ورجل واقع لا رجل خيال •

لهذا اتجه بطاقته وطاقات الاخوان من حوله الى الايجابية والانتاج ، بدل الاشتغال بلغو القول ، ولهو الحديث ، وعبث الصبيان ، والبحث عن عيوب الآخرين ، وطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس •

ان الاسلام يريد من المسلم أن يكون همه الفعل قبل القول ، فلا يقول الا ليعمل ، ولا يعمل الا ليتقن ، حتى لا يتوجه اليه تقريع الله تعـــالى : « **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون • كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** »[1] وعمل المسلم ليس مهملا ولا مضيعا ، انه مقدور ومعتبر عند الله وعند الناس : « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** »[2] •

يكره الاسلام للمسلم أن يشتغل بما لا يعنيه ، وأن يصرف وقته فى التافه من الأمور ، أو الخوض فى الباطل من القول ، أو حضور الزور من الفعل أو الرد على اساءات الآخرين ، ولهذا وصف الله المؤمنين بقوله : « **والذين هم عن اللغو معرضون** »[3] ، « **واذا سمعوا اللغو أعرضوا**

---

(١) الصف : ٢ ، ٣ (٢) التوبة : ١٠٥

(٣) المؤمنون : ٣

عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين »[١] .

ووصف عباد الرحمن بقوله : **« واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما »**[٢] **« والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما »**[٣] وفي الحديث : « من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه » وقد اعتبر علماء السنة هذا الحديث أحد أحاديث أربعة يقوم عليها بناء الاسلام .

ويكره الاسلام للمسلم أن يصرف أصغريه — قلبه ولسانه — الى السب واللعن للناس أو للأشياء ، فليس المسلم سبابا ولا لعانا . ولهذا جاءت جملة أحاديث وفيرة عن النبى — صلى الله عليه وسلم — كلها تقول : « لا تسبوا » منها : « لا تسبوا الموتى فانهم أفضوا الى ما قدموا » « لاتسبوا الدهر ، فان الله هو الدهر » ، « لا تسبوا الريح فانها مأمورة » « لا تسبوا الحمى فانها كفارة الخطايا » ، « لا تسبوا الديك فانه يوقظ للصلاة » .

وأعجب من ذلك ، النهى عن سب الشيطان ذاته ، مع ثبوت عداوته للانسان وطرده من رحمة الله مذءوما مدحورا . روى النسائى والطبرانى والحاكم عن بعض الصحابة قال : « كنت رديف النبى — صلى الله عليه وسلم — فعثر بعيرنا ، فقلت : تعس الشيطان ! فقال لى النبى — صلى الله عليه وسلم — : « لا تقل تعس الشيطان ، فانه يعظم حتى يصير مثل البيت ويقول : بقوتى ! — أى : صرعته بقوتى — ولكن قل : بسم الله ، فانه يصغر حتى يصير مثل الذباب » !

ان سب الشيطان عمل سلبى لا يؤذى الشيطان نفسه ، بل يسره ويرضى غروره ، وانما يؤذى الشيطان ويغيظه أن يتجه الانسان الى عمل ايجابى كأن يذكر الله تعالى ويقول : « بسم الله » فهذا يجعله يتضاءل ويصغر حتى يغدو كالذباب .

فى ضوء هذه المعانى الاسلامية الخالصة ، وعلى مثل هذه الروح

---

(١) القصص : ٥٥ (٢) الفرقان : ٦٣

(٣) الفرقان : ٧٢

الإيجابية البناءة ، كانت تربية حسن البنا للاخوان ، وكانت توجيهاته اليهم فى شتى المناسبات ، وبمختلف الوسائل •

لقد حرص على تجنيبهم السلبية والتواكل ، والاستسلام والتشاؤم ، وروح المراء والجدل العقيم ، وفتح لهم مجالات العمل ، ليصرفوا فيها طاقاتهم ، ويبذلوا جهودهم ، وهى مجالات كثيرة ومتنوعة ، وجديرة بأن تستغرق الأوقات ، وتستنفد القدرات ، وأن تتعلق بها همم المؤمنين ، وتشرئب اليها أعناق المجاهدين •

استمع اليه فى رسالة « التعاليم » وهو يشرح حقيقة العمل ومراتبه يوضح الركن الثالث من أركان « البيعة » بعد الفهم والاخلاص • يقول : « وأريد بالعمل •• ثمرة العلم والاخلاص « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** »(١) •

ومراتب العمل المطلوبة من الأخ الصادق :

١ — اصلاح نفسه حتى يكون : قوى الجسم ، متين الخلق ، مثقف الفكر ، قادرا على الكسب ، سليم العقيدة ، صحيح العبادة ، مجاهدا لنفسه ، حريصا على وقته ، منظما فى شئونه ، نافعا لغيره ، وذلك واجب كل أخ على حدة •

٢ — وتكوين بيت مسلم : بأن يحمل أهله على احترام فكرته والمحافظة على آداب الاسلام فى كل مظاهر الحياة المنزلية ، وحسن اختيار الزوجة ، وتوقيفها على حقها وواجبها ، وحسن تربية الأولاد والخدم ، وتنشئتهم على مبادىء الاسلام • وذلك واجب كل أخ على حدة كذلك •

٣ — وارشاد المجتمع : بنشر دعوة الخير فيه ، ومحاربة الرذائل والمنكرات ، وتشجيع الفضائل ، والأمر بالمعروف ، والمبادرة الى فعل الخير ، وكسب الرأى العام الى جانب الفكرة الاسلامية ، وصبغ مظاهر

---

(١) التوبة : ١٠٥

الحياة العامة بها دائما • وذلك واجب كل أخ على حدته • وواجب الجماعة كهيئة عاملة •

٤ — وتحرير الوطن : بتخليصه من كل سلطان أجنبى — غير اسلامى — سياسى أو اقتصادى أو روحى •

٥ — واصلاح الحكومة : حتى تكون اسلامية بحق ، وبذلك تؤدى مهمتها كخادم للأمة ، وأجير عندها ، وعامل على مصلحتها • والحكومة اسلامية ما كان أعضاؤها مسلمين مؤدين لفرائض الاسلام ، غير متجاهرين بعصيان ، وكانت منفذة لأحكام الاسلام وتعاليمه ••

٦— واعادة الكيان الدولى للأمة الاسلامية : بتحرير أوطانها ، واحياء مجدها ، وتقريب ثقافاتها ، وجمع كلمتها ، حتى يؤدى ذلك كله الى اعادة الخلافة المفقودة ، والوحدة المنشودة •

٧ — وأستاذية العالم : بنشر دعوة الاسلام فى ربوعه ، حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله ، ويأبى الله الا أن يتم نوره •

وهذه المراتب الأربعة الأخيرة ، تجب على الجماعة متحدة ، وعلى كل أخ باعتباره عضوا فى الجماعة • وما أثقلها تبعات ، وما أعظمها مهمات ، يراها الناس خيالا ، ويراها الأخ المسلم حقيقة ، ولن نيأس أبدا ، ولنا فى الله أعظم الأمل ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون •

وهو فى توجيهه وتثقيفه للاخوان يعلمهم أن يعنوا بالكليات قبل الجزئيات ، وبالأصول قبل الفروع ، وأن يهتموا بالواقع وقضاياه ، وبالمسائل العلمية ، ولا يستغرقهم البحث فيما لا ثمرة له ، أو لا طائل تحتــه •

ولهذا يقول فى الأصول العشرين « الأصل التاسع » :

« كل مسألة لا ينبنى عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذى نهينا عنه شرعا ، ومن ذلك : كثرة التعريفات للأحكام التى لم تقع ،

والخوض فى معانى الآيات القرآنية التى لم يصل اليها العلم بعد ، والكلام فى المفاضلة بين الأصحاب — رضوان الله عليهم — وما شجر بينهم من خلاف ، ولكل منهم فضل صحبته ، وجزاء نيته ، وفى التأول مندوحة » •

ويبين أن الاختلاف بين الفقهاء فى فروع الأحكام الشرعية أمر تفرضه طبيعة الدين ، وطبيعة اللغة ، وطبيعة البشر ، وأنه لا خطر منه ، وانما الخطر فى التعصب والتفرق والعداوة • يقول فى « الأصل الثامن » :

« والخلاف الفقهى فى الفروع لا يكون سببا للتفرق فى الدين ، ولا يؤدى الى خصومة ولا بغضاء ، ولكل مجتهد أجره • ولا مانع من التحقيق العلمى النزيه فى مسائل الخلاف ، فى ظل الحب فى الله ، والتعاون على الوصول الى الحقيقة ، من غير أن يجر ذلك الى المراء المذموم والتعصب » •

وبهذا كله وفر على الاخوان اضاعة الأوقات والجهود فى التعصب للآراء ، أو فى بحث مالا جدوى فيه ، وصرفها الى ما ينفع الناس ويمكث فى الأرض •

وكان لحسن البنا عشر وصايا مركزة تكاد تكون محفوظة لدى الاخوان ، وكلها حث على الايجابية والعمل والبناء ، وتحذير من الفراغ والسلبية والهدم •

يقول فى هذه الوصايا :

١ — قم الى الصلاة متى سمعت النداء مهما كانت الظروف •

٢ — اتل القرآن ، أو طالع ، أو استمع ، أو اذكر الله ، ولا تصرف جزءا من وقتك فى غير فائدة •

٣ — اجتهد أن تتكلم العربية الفصحى ، فان ذلك من شعائر الاسلام •

٤ — لا تكثر الجدل فى أى شأن من الشئون أيا كان ، فان المراء لا يأتى بخير •

٥ — لا تكثر الضحك فان القلب الموصول بالله ساكن وقور •

٦ — لا تمزح ، فان الأمة المجاهدة لا تعرف الا الجد •

٧ — لا ترفع صوتك أكثر مما يحتاج اليه السامع فانه رعونة وايذاء •

٨ — تجنب غيبة الأشخاص ، وتجريح الهيئات ، ولا تتكلم الا بخير ،

٩ — تعرف على من تلقاه من اخوانك ، وان لم يطلب منك ذلك ، فان أساس دعوتنا الحب والتعارف •

١٠ — الواجبات أكثر من الأوقات ، فعاون غيرك على الانتفاع بوقته ، وان كان لك مهمة فأوجز فى قضائها •

ومن معانى الايجابية فى تربية الأخ المسلم : ألا يكون همه التلذذ بالعبادة الشخصية والانحصار فى الأنس بالذكر ، والمتعة بالفكر ، من غير التفات الى أمراض المجتمع ومشكلات الناس ، وما فشا بينهم من انحراف فى العقيدة ، وابتداع فى العبادة ، وانحلال فى الخلق ، وانهيار فى التماسك ، فيقف من هذا كله موقف المتفرج المستسلم ، أو المتحسر المتندم ، أو القانط اليائس ، أو النائح المولول ، دون أن يقوم بخطوة ايجابية لاصلاح الفساد ، وتقويم العوج ، ودعوة الأشرار الى الخير ، والمبتدعين الى الاتباع ، والمنحرفين الى الاستقامة ، والمتكاسلين الى العمل ، والفاترين الى الحماس •

ان الواجب فى تربية الأخ المسلم أن يجعل الدعوة أكبر همه ، ومحور حياته ، وغاية سعيه ، وأن يعتبر هداية فرد واحد الى الاسلام خيرا له مما طلعت عليه الشمس وغربت ، وأن الدعوة الى الله هو طريق الرسل ، وخلفائهم ، وأنها أكرم وظيفة فى الحياة • ولهذا كان شعار الاخوان دائما : أصلح نفسك وادع غيرك ، ولا انفصال بينهما • **« ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين »**(١) •

---

(١) فصلت : ٣٣

ولم تكن الدعوة التى نشىء عليها الاخوان تقف عند صورة واحدة ، أو أسلوب معين ، بل على كل أخ أن يدعو من حوله ومن يستطيع بالوسيلة التى يقـــدر عليها ، ويراها مؤثرة فى مدعويه ، من خطبة أو محاضرة أو حديث أو مناقشة عادية ، أو تصرف حسن ، أو موقف ايمانى صامت .

وكان على كل أخ أن يكون حيث ينزل للاخوان دارا أو رجالا . وهم أهم من الدار حتى شاع هذا القول بينهم : « علامة الرجل الصالح أن يترك فى كل مكان يحل فيه أثرا صالحا » .

وكان كل أخ مسلم بحكم تكوينه داعية ، مؤثرا فى محيطه بقوله وعمله ، حتى كان بعض العمال والفلاحين والتجار من الاخوان اذا تحدثوا عن الدعوة حسبهم السامع من خريجى الأزهر أو الجامعات ، لأنهم جمعوا بين الفطرة الموهوبة والدربة المكسوبة ، فضـــلا عن الروحانية المطلوبة ، والحماسة المشبوبة .

ومما أعان الاخوان على الايجابية والانتاج ، تربيتهم على الاحساس بقيمة الوقت ، والحرص على الانتفاع به ، وان كل انسان لن تزول قدماه يوم القيامة حتى يسئل عن عمره فيم أفناه ؟ وعن شبابه فيم أبلاه ؟

ولهذا كان من الوصايا العشر التى ذكرناها من قبل وصيتان تتعلقان بالوقت .. احداهمـــا تقول : « اتل القرآن . أو طالع ، أو استمع ، أو اذكر الله ، ولا تصرف جزءا من وقتك فى غير فائدة » وهذه هى ثانية الوصـــايا .

والأخرى ، وهى الوصية العاشرة والخاتمة تقول : « الواجبات أكثر من الأوقات ، فعاون غيرك على الانتفاع بوقته ، وان كان لك مهمة فأوجز فى قضائها » .

ومن أبلغ ما كتبه الشهيد البنا : حديث من أحاديث الجمعة — التى كان يكتبها لجريدة « الاخوان المسلمون » اليومية صباح كل جمعة — بعنوان « الوقت هو الحياة » يخطىء فيه المثل الشائع : « الوقت

من ذهب » قائلا : « ان هذا صحيح فى نظر المـــاديين الذين يقيسون كل شىء بمقياس المـــادة ، ولكن الواقع أن الوقت أغلى من الذهب ومن كل جوهر نفيس • فان الذهب اذا فات يمكن أن يعوض ، والوقت اذا فات لا يعوض • الوقت فى الحقيقة هو الحياة ، وهل حياة الانسان الا الوقت الذى يقضيه من الميلاد الى الوفاة » ؟

ومما سجله فى مذكراته ــ رحمه الله ــ أن أحد شيوخه قال له ولبعض اخوانه :

« انى أتوسم أن الله سيجمع عليكم القلوب ، ويضم اليكم كثيرا من الناس ، فاعلموا أن الله سيسألكم عن أوقات هؤلاء الذين سيجتمعون عليكم : أفدتموهم فيها ، فيكون لهم الثواب ولكم مثلهم ، أم انصرفت هباء ، فيؤاخذون وتؤاخذون » !!

وقد سمعته يردد هذه الوصية فى حفل كبير أقيم فى مدينة طنطا ، للتوعية بالمطالب الوطنية التى تحددت حينذاك فى جلاء الانجليز ووحدة وادى النيل •

ولقد استطاع الاخوان حين اعتقلوا فى عهد الملكية بعد حل جماعتهم فى ديسمبر ١٩٤٨ ، وبعد الاجتماع المشهور فى منطقة « فايد » العسكرية لسفراء انجلترا وأمريكا وفرنسا ، أن يحولوا معتقلهم الأكبر فى الطور الى جامع للعبادة ، ومعهد للدراسة ، وناد للرياضة ، ومعسكر للتدريب ، وبرلمـــان للتشاور ، حتى كنا نقول على سبيل الفكاهة : الطور هو المخيم الدائم للاخوان المسلمين لسنة ١٩٤٩ • السفر والمصاريف والاقامة والتكاليف على حساب الحكومة المصرية !!

ولقد سجلت ذلك فى قصيدة لى ألقيتها فى حفل اخوانى أقيم بميدان السيدة زينب بعد خروجنا من المعتقل (١٩٥٠) ومنها :

قالوا : الى السجن • قلنا : شعبة فتحت
ليجمعـــونا بهـــا فى الله اخـــوانا
قالوا : الى الطور • قلنا : الطور مؤتمر
فيه نقرر ما يخشـــــاه أعـــــدانا

فهو المصـلى نربى فيه أنفسـنا
وهو المصيف نقـوى فيه أيـدانا

معسـكر صاغنـا جنـدا لمعـركة
ومعهـد زادنا بالحـق عـرفانا

من حرموا الجمع منـا فوق أربعة
ضـموا الألوف بغاب الطور أسـدانا

رامـوه منفى وتضـييقا فكان لنـا
بنعمـة الحب والايمـان بسـتانا

هذا هو الطور شـاءوا أن نذوب به
وشـاء ربك أن نزداد ايمـانا

ولقد استفاد جلادو الثورة من هذه التجربة ، فجهدوا جهدهم الا يستفيد الاخوان من فترة بقائهم فى المعتقلات أو السجون لدعوتهم أو لأنفسهم ، فكان الاعتقال سـنة ١٩٥٤ فى السجن الحربى حيث الزنازين المغلقة التى لا تفتح الا دقائق معدودة فى اليوم والليلة لدخول دورة المياه ركضا وبأقصى سرعة ، حيث السياط تلهب الظهور ، ولم يسمح بأى تجمع ولو كان للصلاة ، الا ما كان من تجمع طوابير « التكدير » كما لم يسمح باصطحاب أى كتاب ، ولو كان هو كتاب الله الكريم .

ومع هذا تحولت الزنازين الى حلقات للذكر والتسبيح ، والتدارس الهادىء ، كلما سنحت فرصة تهدأ فيها سياط التعذيب .

ولقد حدثنى بعض الاخوة الذين نقلوا الى معسكر « المحاريق » فى الواحات زيادة فى التنكيل والاعنات لهم : كيف حولوه فى مدة وجيزة من أرض قفراء قاحلة الى جنة ضاحكة ، زروع وثمار وفاكهة ودواجن ، عم نفعها الضباط والجنود وكل من يعيش حولهم . ولمـا زارهم بعض رجال الثورة ومعهم الجلاد الشهير حمزة البسيونى فوجئوا بما شاهدوا ، وآذاهم ذلك كل الايذاء ، وغاظهم أشد الغيظ ، أن يجدوا عند هؤلاء المعذبين صدورا تنشرح للعمل ، وعزائم تتجه الى الانتاج ، فأمروا بهدم

هذا كله وتخريبه ، وبناء سجن محكم يحول بين هؤلاء وبين العمل للحيـاة !

هكذا أراد حسن البنا لدعوته وحركته : أن تكون دعوة عمل وبناء وانتاج .

لم يرد لها أن تكون مجرد حركة أكاديمية أو فلسفية تعيش فى أبراج عاجية تتخيل جمهورية مثالية كجمهورية أفلاطون ، أو مدينة فاضلة كمدينة الفارابى ، وان كان للفكر والعلم فيها مكان أى مكان .

ولم يرد كذلك لجماعته أن تكون جماعة جدلية ، تستهلك أفرادها المناقشات البيزنطية ، التى تسود بعض الجماعات الدينية ، والتى تغلب على الأمم فى عصور الضعف والانحلال ، وكثيرا ما كان يحذر من الجدل العقيم ، والمراء الموغر للصدور دون جدوى ، ويكرر الحديث الشريف : « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه ، ألا أوتوا الجدل » .



الاعتدال والتوازن

ومن خصائص التربية الاسلامية ، كما دعا اليها حسن البنـا وعلمها لرجاله : الاعتدال ، وان شئت فسمه : التوازن أو الوسطية .

واذا كان المسلمون وسطا بين الأمم والملل ، وكان أهل السنة وسطا بين الفرق ، فالاخوان وسط بين الجماعات الاسلامية .

فهم يوازنون بين العقل والعاطفة ، وبين المـادة والروح ، وبين النظر والعمل ، وبين الفرد والمجتمع ، وبين الشورى والطاعة ، وبين الحقوق والواجبات ، وبين القديم والجديد .

وقد انتفعت الحركة بالتراث الاسـلامى كله ، فأخذت من علماء الشريعة العناية بالنصوص والأحكام ، ومن علماء الكلام الاهتمام بالأدلة العقلية ورد الشبهات ، ومن علماء التصوف العناية بتربية القلوب وتزكية النفوس ، مع الحرص البالغ على التحرر مما علق بهذا التراث من شوائب ومحدثات ، والرجوع الى النبع الصافى من كتاب الله وسنة رسوله .

لم يقف حسن البنا من التراث الفقهى بمذاهبه ومدارسه موقف الرفض المطلق ، كما صنع بعض الناس ، ولا موقف القبول المطلق ، كما فعل آخرون ، ولم يوجب التقليد للمذاهب ، ولم يحرمه كذلك على كل الناس ، لكنه أجازه لبعض الناس بقيود وشروط هى غاية فى الاعتدال فقال فى « الأصل السابع » من الأصول العشرين :

« لكل مسلم لم يبلغ درجة النظر فى أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع اماما من أئمة الدين ، ويحسن به — مع هذا الاتبـاع — أن يجتهد ما استـطاع فى تعرف أدلة امامه ، وأن يتقبل كل ارشاد مصحوب بالدليل ، متى صح عنده صدق من أرشده وكفايته ، وأن يستكمل نقصه العلمى ان كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر » . (أى القدرة على الترجيح والاجتهاد ولو جزئيا) .

وليس معنى هذا أن كل ما قاله امام من أئمة الدين حق وصواب ، فانما هو مجتهد فى الوصول الى الحق ، فان أصاب فله أجران ، وان أخطأ فله أجر ، وليس علينا — بل ليس لنا — اذا تبين خطؤه أن نتبعه . ولهذا قال فى « الأصل السادس » بصريح العبارة :

« وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك الا المعصوم صلى الله عليه وسلم ، وكل ما جاء عن السلف — رضوان الله عليهم — موافقا للكتاب والسنة قبلناه ، والا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع . ولكنا لا نعرض للأشخاص — فيما اختلف فيه — بطعن أو تجريح ، ونكلهم الى نياتهم ، وقد أفضوا الى ما قدموا » .

وهذا هو الاعتدال ، كما أنه هو الانصاف الذى لا يستطيع أحد أن يمارى فيه ، وهو موقف شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه المركز الجليل « رفع الملام عن الأئمة الأعلام » .

ولم يقف رائد الحركة الاسلامية عند هذا الحد ، بل أعلن أن كل الآراء ، والعلوم التى تلونت بلون عصرها وبيئتها لا تلزمنا نحن دعاة الاسلام فى القرن الرابع عشر الهجرى ، ولنا الحرية أن نجتهد لأنفسنا كما اجتهدوا ، وان كنا لا نهمل دراستها والانتفاع بها ، فهى ثروة عظيمة بلا شك .

يقول فى « رسالة المؤتمر الخامس » :

« يعتقد الاخوان المسلمون أن أساس التعاليم الاسلامية ومعينها هو كتاب الله وسنة رسوله ، اللذان ان تمسكت بهما الأمة فلن تضل أبدا ، وان كثيرا من الآراء والعلوم التى اتصلت بالاسلام ، وتلونت بلونه تحمل لون العصور التى أوجدتها ، والشعوب التى عاصرتها ، ولهذا يجب أن تستقى النظم الاسلامية التى تحمل عليها الأمة من هذا المعين الصافى : معين السهولة الأولى ، وأن نفهم الاســـلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح ، وأن نقف عند هــذه الحدود الربانية ، حتى لا نقيد أنفسنا بغير ما قيدنا الله به ، ولا نلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معه ، والاسلام دين البشرية جميعا » .

هذه هى روح التجديد الحق ، تجديد الاعتدال لا تجديد الشطح والتطرف •

هذا موقفه من قضية الفقه وقضية الاجتهاد والتقليد ، والمذهبية واللامذهبية ، وسطا معتدلا ، لا غلو ولا تقصير •

وكذلك كان موقفه فى قضية « العقيدة » وما جرى حولها من خلاف فى بعض المسائل ، وفهم بعض النصوص ، واختلاف الفرق والمذاهب فى ذلك •

لقد كان يعتنق عقيدة أهل السنة والجماعة ، ويتبنى طريق السلف فى فهم الآيات والأحاديث المتعلقة بصفات الله تعالى • وكان حريصا كل الحرص على تحقيق التوحيد ، ومحاربة الشرك بكل ألوانه وأنواعه : أكبره وأصغره ، وجليه وخفيه ، منكرا كل مظاهر الوثنية ، وكل المبتدعات الشركية التى دخلت على حياة كثير من المسلمين ، فأفسدت عليهم عقائدهم وعباداتهم وأفكارهم وعواطفهم وسلوكهم ، مثل الزيارات الشركية للأضرحة ، والاستغاثات الشركية بالأولياء ، واتيان الكهنة والعرافين وتصديقهم ، الى غير ذلك من صور الأباطيل والانحرافات •

ولكنه يمهد لهذه الحملة على الشركيات والبدع ، بما يهيىء الأنفس والعقول لتقبلها ، ويصوغ انكاره فى عبارات لبقة حكيمة ، تجمع بين مرارة الحق وحلاوة الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة •

اصغ اليه يقول فى الأصول العشرين :

« محبة الصالحين واحترامهم ، والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم ، قربة الى الله تبارك وتعالى • والأولياء هم المذكورون فى قوله تعالى : **« الذين آمنوا وكانوا يتقون »**(١) •

« والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية ، مع اعتقاد أنهم — رضوان الله عليهم — لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، فى حياتهم ، أو بعد مماتهم ، فضلا عن أن يهبوا شيئا من ذلك لغيرهم » •

---

(١) يونس : ٦٣

« وزيارة القبور أيا كانت سنة مشروعة ، بالكيفية المأثورة ، ولكن الاستعانة بالمقبورين أيا كانوا ، ونداءهم لذلك ، وطلب قضاء الحاجات منهم ، عن قرب أو بعد ، والنذر لهم ، وتشييد القبور ، وسترها ، واضاءتها ، والتمسح بها ، والحلف بغير الله ، وما يلحق بذلك من المبتدعات — كبائر تجب محاربتها ، ولا نتأول لهذه الأعمال سدا للذريعة » .

وهكذا نراه يهتم ببيان الحق قبل فضح الباطل ، ويقدم التعريف بالمعروف قبل انكار المنكر . وبذلك يلين النفوس التى شبت على الباطل وشابت عليه ، ويدخل اليها دخول الداعية الموفق ، والمربى الحكيم ، دون استثارة المعاندين ، أو تأليب المخالفين .

وكذلك كان الشأن فى موضوع « الصفات الالهية » وما ثار فيها من جدل بين العلماء من مؤلين وغير مؤلين ، فهو يغض الطرف عن هذا الخلاف ، راجعا الى معين السهولة الأولى ، بعيدا عن تكلف التأويل ، واثم التعطيل ، يقول فى الأصل العاشر :

« معرفة الله تبارك وتعالى ، وتوحيده ، وتنزيهه ، أسمى عقائد الاسلام ، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة ، وما يليق بذلك من المتشابه .. نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل ، ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء . ويسعنا ما وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه « **والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا** »[1] .

وبمثل هذه الروح المنصفة المعتدلة وقف من التصوف : فلم يقبله كله بعجره وبجره ، وسنيه وبدعيه ، ولم يرفضه كله بما فيه من صواب وخطأ ، وحسن وسوء . بل كان مبدؤه هنا : خذ ما صفا ودع ما كدر . فليس كل ما فى التصوف باطلا ، وليس كله حقا ، وليس كل المتصوفة مبتدعة ، وليس كلهم على سنة ، فلا بد من الانتقاء والاختيار ، والاستفادة من تراث القوم ، وفيه من الحرارة والتأثير

---

(١) آل عمران : ٧

ما ليس فى غيرهم ، ولكلامهم صولة ليس لكلام من سواهم ، وقد سجل رأيه فى التصوف بصراحة فى كتابه « مذكرات الدعوة والداعية » .

ورغم أنه بدأ فى أول الأمر على صلة باحدى الطرق فهو لم يسلم زمامه اليها ، بل أخذ منها وترك ، وقال عن نفسه وعن صديقه السكرى : كنا مريدين أحـــرارا فى تفكيرنا ، وان كنا مخلصين كل الاخلاص — فى تقديرنا — للعبادة والذكر وأدب السلوك .

مع أن الطريقة نفسها كانت أبعد من غيرها عن البدع ، وكان يعجبه من شيخها شدته فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى للملوك والكبراء ، واتباع للسنن ومحاربته للبدع ، ولم يكن يصغى كثيرا لما يسمعه من كرامات الشيخ وخوارقه الحسية ، فعمله فى هداية الخلق ، ونشر الحق ، أعظم من الكرامات فى نظره .

ولم تلن قناة حسن البنا للبدع والمحدثات التى راجت بين كثيرين من المتصوفة عن الزيارات البدعية للأضرحة ، والتبرك بالقبور ، ودعاء الأموات ، وتعليق التمائم ، وغيرها ، فأعلن الحرب على هذه الأشياء فى الأصول العشرين ، واعتبرها كبائر تجب محاربتها ، ولا نتأول لها سدا للذريعة .

ومع هذا قال فى انكار البدع ومقاومتها :

« وكل بدعة فى دين الله لا أصـــل لها — استحسنها النـــاس بأهوائهم — سواء بالزيادة فيه أو النقص منه — ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التى لا تؤدى الى ما هو شر منها » .

وهذا هو الفقه حقا ، فان السكوت على المنكر واجب اذا أدت مقاومته الى منكر أكبر منه . ولهذا أصل فى القرآن والسنة كما هو معلوم فى موضعه .

ولهذا كان يصلى التراويح فى رمضان ثمانى ركعات حسبما صح من الحديث عن عائشة .. ولكن لم ينكر على من صلى عشرين ، فلكل من الفريقين وجهة ودليل ، وسيظل الخلاف فى الفروع قائما لأسباب ذكرها هو فى أكثر من رسالة من رسائله .

وقد حكوا عنه أنه زار بلدا اختلف أهله بين صلاة الثمانية وصلاة العشرين ، وقام بينهما النزاع على أشده ، حتى كادوا يقتتلون ، واجتمع الفريقان ليسألوه • لم يجبهم بل سألهم هو عن صلاة التراويح : أسنة هى أم فريضة ؟ فقالوا جميعا : بل سنة • فقال : والأخوة بين المسلمين واتحاد كلمتهم : سنة أم فريضة ؟ قالوا جميعا : بل فريضة • فقال فى قوة ووضح : كيف تهدمون فريضة من أجل سنة ؟ خير لكم ان تدعوا صلاة التراويح نهائيا فى المسجد ، وتحتفظوا بأخوتكم سليمة ، بدل أن تصلوا ويضرب بعضكم وجوه بعض •

كانت مزية حسن البنا الجمع بين عقل السلفى المتبع ، وقلب الصوفى المتذوق • وكذلك أراد لأصحابه •

فهو فى العقيدة سلفى خالص ، يؤمن بالتوحيد ، ويحارب الشرك أكبره وأصغره ، وجليه وخفيه ، ويتبنى منهج السلف فى آيات الصفات وأحاديثها كما بين ذلك فى رسالته عن « العقائد » وفى أصوله العشرين •

وهو فى العبادة كذلك متبع لا مبتدع ، فكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار •

ولكنه فى تزكية الأنفس ، وتهـذيب الأخلاق ، وعلاج أمراض القلوب ، ومقاومة الهوى ، وسد مداخل الشيطان الى قلب الانسان متصوف سنى ، ذواقة نقادة ، يأخذ لنفسه ولأتباعه من كتب القوم ومناهجهم ما يرقى الروح ، ويطهر القلب ، ويوثق الصلة بالله ، والحب بين الاخوان •

وموقفه هنا يشبه الى حد كبير موقف شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم ، فقد استفادوا من التصوف — علما وعملا وتعليما — وكتبا فى ذلك رسائل وكتبا عديدة ، منها لابن تيمية مجلدان فى فتاويه : أحدهما تحت عنوان « التصوف » والثانى تحت عنوان : « السـلوك » •

أما ابن القيم فله مؤلفات عدة منها : الداء والدواء ، طريق الهجرتين ، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين •

وأعظمها كتابه الجليل « مدارج السالكين ، شرح منازل السائرين الى مقامات « اياك نعبد واياك نستعين » •

و « المنازل » رسالة موجزة مكثفة لشيخ الاسلام اسماعيل الهروى الحنبلى ، ولكنه طالما خالفه فيما ذهب اليه فيها ، قائلا : « شيخ الاسلام حبيب الينا ، ولكن الحق أحب الينا منه » •

وكان ابن تيمية وتلميذه من كبار الربانيين ، أرباب القلوب الحية ، والنفوس الزاكية ، والأرواح الموصولة بالملأ الأعلى ، حتى حكى ابن القيم عن شيخه أنه قال : انه لتمر على أوقات أقول فيها : لو كان أهل الجنة على مثل ما أنا فيه لكانوا فى حال طيبة !

ولما حبسوه فى القلعة ، لم يوهن ذلك من عزمه ، ولم يضعف من أنسه بمولاه ، وقال فى ذلك : انما المحبوس من حبس قلبه عن ربه ، والمأسور من أسره هواه •

وقال : ماذا يصنع بى أعدائى ؟ ان سجنونى فسجنى خلوة ، وان نفونى فنفيى سياحة ، وان قتلونى فقتلى شهادة !

ويبدو لى من تتبع حياة حسن البنا ومراحل تفكيره ودعوته : أنه بدأ أقرب الى الصوفية ، وانتهى أقرب الى السلفية ، ولكنه لم يقم يوما بينهما حربا ، بل طعم صرامة السلفية بروحانية التصوف ، وضبط مواجيد التصوف بالتزام السلفية ، وكان ذلك هو الطابع الغالب على أتباعه الا ما ندر •

* * *

الاعتدال فى النظرة الى المجتمع وتحديد هويته :

ومن دلائل الاعتدال والتوازن فى تربية الاخوان ، كما فهمها حسن البنا ونفذها : نظرته الى المجتمع وعلاقة الاخوان به ، فهى نظرة وسطية معتدلة ، تنظر الى المجتمع من أفق رحب ، ومن زوايا متعددة ، وبمنظار سليم لم يشبه الغبش والقتام •

فليس هو مجتمعا خالص الاســلام ، كامل الايمان ، كما يتوهم السطحيون من الناس الذين يشيعون أن أمة محمد بخير ، وأنه لا ينقصنا الا العلم و « التكنولوجيا » وبذلك تنحل كل العقــد ، وتنفض كل المشــكلات .

فلا شك أن المجتمع فى شتى بلاد الاسلام يعانى أمراضا خطيرة ، عقدية وفكرية وخلقية واجتماعية ، وأن الفساد قد تغلغل فى شتى نواحيه : فساد فى العقول ، اضطربت به العقائد والمفاهيم ، وفساد فى الضمائر ، اضطربت به الأخلاق والأعمال ، وفساد فى التشريع ، اضطربت به النظم والقوانين ، وفساد فى الأسرة ، اضطربت به العلاقات بين الأزواج والوالدين والأولاد ، وفساد فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية كلها ، جعل بلاد المسلمين فى مؤخرة العالم بعد أن كانت فى الطليعة من قافلة البشر ، ومأخذ الزمام منها .

ولا شك أن هذا كله نتيجة ضمنية للانحراف عن الاسلام الصحيح ، فهما وايمانا وتطبيقا . ولولا هذا ما كان المجتمع فى حاجة الى دعوة جديدة ، تصحح فهمه للاسلام ، وتجدد ايمانه به ، وتدفعه — بالتوجيه الراشد ، والتربية السليمة — على حسن تطبيقه .

ورغم هذا الانحراف والفساد الشائع فى المجتمع ، لم يذهب حسن البنا يوما الى أنه مجتمع جاهلى كافر .

انه قد يصف المجتمع بالانحراف أو الفسوق أو العصيان أو الابتداع .. أما الكفر والردة فلا .

فلا زالت شعائر الاسلام تقام فى هذا المجتمع ، ولا زالت بعض أحكام الاسلام ترعى وتنفذ ، ولا زال جمهور الناس مؤمنين بربهم ونبيهم وقرآنهم ، ولا زالت العاطفة الدينية تحتل مكانها فى الصدور ، ولا زالت كلمة الاسلام هى المحرك الأول للشعوب .

كان حسن البنا يربى أتباعه على الاحتراز من خطيئة « التكفير » للمسلمين ، والوقوع فيما وقع فيه الخوارج من قبل ، حيث كفروا

من عداهم من المسلمين ، واستحلوا دماءهم وأموالهم ، حتى كان من سماتهم البارزة : أنهم « يقتلون أهل الاسلام ، ويدعون أهل الأوثان » .

وكان ينكر على الجماعات الدينية التى تتراشق فيما بينها بسهام التكفير ، والاتهام بالشرك والردة .

والأصل الثانى من أصوله العشرين يقول فى صراحة :

« لا نكفر مسلما أقر بالشهادتين ، وعمل بمقتضاهما ، وأدى الفرائض — برأى أو معصية ، الا ان أقر بكلمة الكفر ، أو أنكر معلوما من الدين بالضرورة ، أو كذب صريح القرآن ، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال ، أو عمل عملا لا يحتمل تأويلا غير الكفر » .

ان تكفير الأفراد والمجتمعات — الذى تبنـــاه بعض الدعاة الى الاسلام فيما بعد — خطأ دينى ، وخطأ علمى ، وخطأ حركى ، أرجو أن أبينه فى كتاب مستقل ان شاء الله .

وفى تحديد علاقة الاخوان بالمجتمع ، قامت تربية الاخوان على هذه النظرة المتزنة .

فلم تقم على الذوبان فى المجتمع أو مسايرته فى خيره وشره ، وحلاله وحرامه باسم « التطور » أو « التحديث » ونحو ذلك من العناوين التى يتكىء عليها دعاة « التغريب » وأدعياء « التجديد » فى ديار المسلمين .

كما لم تقم أيضا على رفض المجتمع ، والاستعلاء عليه ، ومعاملته معاملة العدو للعدو ، ومخاطبته من بعيد ، ومن عل ، بأنف شامخ ، وخد مصعر ، وشعور بالعزلة والاستكبار .

انما قامت التربية على أساس الاهتمام بالمجتمع ، والتفاعل مع أحداثه ، والاحساس بآلامه وآماله . بحيث يفرح الأخ المسلم لأفراحه ، ويأسى لأساه ، ويعمل لاسعاده وانقاذه واصلاحه ، فهو منه كالعضو من الجسد ، أو كاللبنة من البنيان .

وهكذا صور لنا النبى صلى الله عليه وسلم مجتمع المؤمنين :

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » .

« مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد » .

« من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .

والأخ المسلم كذلك محب لوطنه ، عامل على تخليصه من كل غاصب ، وتحريره من كل قيد يعوقه عن النهوض بواجبه عزيزا مستقلا .

يقول الشهيد البنا فى رسالته : « دعوتنا فى طور جديد » :

« اننا مصريون بهذه البقعة الكريمة فى الأرض التى نبتنا فيها ، ونشأنا عليها . ومصر بلد مؤمن تلقى الاسلام تلقيا كريما ، وذاد عنه ، ورد عنه العدوان فى كثير من أدوار التاريخ ، وأخلص فى اعتناقه ، وطوى عليه أعطف المشاعر ، وأنبل العواطف . وهو لا يصلح الا بالاسلام ، ولا يداوى الا بعقاقيره ، ولا يطب الا بعلاجه . وقد انتهت اليه بحكم الظروف الكثيرة حضانة الفكرة الاسلامية ، والقيام عليها ، فكيف لا نعمل لمصر ولخير مصر ؟ وكيف لا ندفع عن مصر بكل ما نستطيع ؟ وكيف يقال : ان الايمان بالمصرية لا يتفق مع ما يجب أن يدعو اليه رجل ينادى بالاسلام ويهتف بالاسلام !

« اننا نعتز بأننا مخلصون لهذا الوطن الحبيب ، عاملون له مجاهدون فى سبيل خيره ، وسنظل كذلك ما حيينا ، معتقدين أن هذه هى الحلقة الأولى فى سلسلة النهضة المنشودة ، وأنها جزء من الوطن العربى العام ، وأننا حين نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والاسلام .

« وليس يضيرنا فى هذا كله أن نعنى بتاريخ مصر القديم وبما ترك قدماء المصريين من آثار الحضارة والعمران ، وبما سبقوا اليه الناس من المعارف والعلوم والفنون .

« فنحن نرحب بمصر القديمة كتاريخ فيه مجد وفيه عزة وفيه علم ومعرفة . ونحارب هذه النظرية بكل قوانا كمنهاج عملى يراد صبغ مصر به ودعوتها اليه بعد أن هداها الله بتعاليم الاسلام ، وشرح له صدرها ، وأنار به بصيرتها ، وزادها به شرفا ومجدا فوق مجدها ، وخلصها بذلك

مما لاحق هذا التاريخ من أوضار الوثنية ، وأدران الشرك ، وعادات الجاهلية » .

وهذه الكلمات المضيئة المشرقة تبين لنا وجها آخر من وجوه الاعتدال والتوازن فى دعوة حسن البنا وفى تربيته ، جديرا بأن نخصه بحديث ، وهو موقفه من الوطنية والقومية وما شاكلها .

* * *

موقف الدعوة من الوطنية والقومية وغيرها :

ومن مظاهر الاعتدال الذى ربى عليه حسن البنا رجال دعوته : موقفه من الدعوات والأفكار الأخرى التى كانت مطروحة فى المنطقة حين ظهرت دعوته .

وذلك مثل موقفه من الوطنية أو القومية أو العروبة أو الشرقية أو العالمية .

فهو لا يصدم أصحاب هذه الدعوات برفضها رفضا مطلقا ، كما لا يقبلها قبولا مطلقا ، ولكنه — عادة — يقسمها ويصنفها الى ما هو مقبول لموافقته للفكرة الاسلامية ، وما هو مرفوض لمنافاته لها .

* وطنية الحنين :

فى رسالة « دعوتنا » يقول مناقشا دعاة الوطنية : « ان كان دعاة الوطنية يريدون بها حب هذه الأرض وألفتها والحنين اليها والانعطاف نحوها ، فذلك أمر مركوز فى فطر النفوس من جهة ، مأمور به فى الاسلام من جهة أخرى . وان بلالا الذى ضحى بكل شىء فى سبيل عقيدته ودينه هو بلال الذى كان يهتف فى دار الهجرة بالحنين الى مكة فى أبيات تسيل رقة وتقطر حلاوة .

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة
بواد وحولى اذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة
وهل يبدون لى شامة وطفيل

ولقد سمع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وصف مكة من « أصيل » فجرى دمعه حنينا اليها وقال : « يا أصيل .. دع القلوب تقـــر » .

* وطنية الحرية والعزة :

وان كانوا يريدون أن من الواجب العمل بكل جهد فى تحرير البلد من الغاصبين ، وتوفير استقلاله له ، وغرس مبادىء العزة والحرية فى نفوس أبنائه ، فنحن معهم فى ذلك أيضا ، وقد شدد الاسلام فى ذلك أبلغ التشديد فقال تبارك وتعالى : « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** »(١) ويقـــول : « **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** »(٢) .

* وطنية المجتمع :

وان كانوا يريدون بالوطنية تقوية الرابطة بين أفراد القطر الواحد ، وارشادهم الى طريق استخدام هذه التقوية فى مصالحهم . فذلك نوافقهم فيه أيضا ، ويراه الاسلام فريضة لازمة فيقول نبيه ــ صلى الله عليه وسلم ــ : « وكونوا عبـــاد الله اخوانا » ويقول القرآن الكريم : « **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا** »(٣) .

* وطنية الفتح :

وان كانوا يريدون بالوطنية فتح البلاد ، وسيادة الأرض ، فقد فرض ذلك الاسلام ، ووجه الفاتحين الى أفضل استعمار ، وأبرك فتح . فذلك قوله تعالى : « **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله** »(٤) .

* وطنية الحزبية :

وان كانوا يريدون بالوطنية تقسيم الأمة الى طوائف تتنـــاحر وتتضاغن وتتراشق بالسباب ، وتترامى بالتهم ، ويكيد بعضها البعض ، وتتشيع لمناهج وضعية أملتها الأهواء ، وشكلتها الغايات والأغراض ،

---

(١) المنافقون : ٨ — (٢) النساء : ١٤١
(٣) آل عمران : ١١٨ — (٤) البقرة : ١٩٣

وفسرتها الأفهام وفق المصـــالح الشخصية ، والعدو يستغل كل ذلك لمصلحته ، ويزيد وقود هذه النار اشتعالا ، يفرقهم فى الحق ، ويجمعهم على الباطل ، ويحرم عليهم اتصال بعضهم ببعض ، وتعاون بعضهم مع بعض ، ويحل لهم هذه الصلة به ، والالتفاف حوله ، فلا يقصدون الا داره ، ولا يجتمعون الا زواره ، فتلك وطنية زائفة لا خير فيها لدعاتها ولا للناس .

فها أنت ذا قد رأيت أننا مع دعاة الوطنية ، بل مع غلاتهم فى كل معانيها الصالحة التى تعود بالخير على البلاد والعباد .

وقد رأيت مع هذا أن تلك الدعوى الوطنية الطويلة العريضة لم تخرج عن أنها جزء من تعاليم الاسلام .

* حدود وطنيتنا :

أما وجه الخلاف بيننا وبينهم ، فهو أننا نعتبر حدود الوطنية بالعقيدة ، وهم يعتبرونها بالتخوم الأرضية والحدود الجغرافية . فكل بقعة فيها مسلم يقول : لا اله الا الله محمد رسول الله ، وطن عندنا له حرمته وقداسته وحبه والاخلاص له ، والجهاد فى سبيل خيره . وكل المسلمين فى هذه الأقطار الجغرافية أهلنا واخواننا ، نهتم لهم ، ونشعر بشعورهم ، ونحس باحساسهم ، ودعاة الوطنية فقط ليسوا كذلك ، فلا يعنيهم الا أمر تلك البقعة المحدودة الضيقة من رقعة الأرض ، ويظهر ذلك الفارق العملى فيما اذا أرادت أمة من الأمم أن تقوى نفسها على حساب غيرها ، فنحن لا نرضى ذلك على حساب أى قطر اسلامى ، وانما نطلب القوة لنا جميعا ، ودعاة الوطنية المجردة لا يرون بذلك بأسا . ومن هنا تتفكك الروابط وتضعف القوى ، ويضرب العدو بعضهم ببعض .

* غاية وطننـــا :

هذه هى واحدة . والثانية أن الوطنيين فقل جل ما يقصدون اليه تخليص بلادهم ، فاذا ما عملوا لتقويتها بعد ذلك ففى النواحى المـــادية كما تفعل أوروبا الآن ، أما نحن فنعتقد أن المسلم فى عنقه أمانة ،

عليه أن يبذل نفسه ودمه وماله فى سبيل أدائها ٠٠ تلك هى هداية البشر بنور الاسلام ، ورفع علمه خفاقا على كل ربوع الأرض ، لا يبغى بذلك مالا ولا جاها ولا سلطانا على أحد ولا استعبادا لشعب ، وانما يبغى وجه الله وحده ، واسعاد العالم بدينه واعلاء كلمته ٠ وذلك ما حدا بالسلف الصالحين رضوان الله عليهم الى هذه الفتوح القدسية التى أدهشت الدنيا ، وأربت على كل ما عرف التاريخ من سرعة وعدل ونبل وفضـــل » ٠

* * *

أصناف الناس فى موقفهم من الدعوة :

ويبين حسن البنا أصناف الناس فى موقفهم من الدعوة ، فيجعلهم أربعـــة :

١ — اما شخص مؤمن ٠٠ آمن بالدعوة ، وأعجب بمبادئها ، ورأى فيها خيرا اطمأنت اليه نفسه ٠٠ فهذا ندعوه أن يبادر بالانضمام الينا ، والعمل معنا ، حتى يكثر عدد المجاهدين ، ويعلو بصوته صوت الداعين ٠٠ ولا معنى لايمان لا يتبعه عمل ، ولا فائدة فى عقيدة لا تدفع صاحبها الى تحقيقها والتضحية فى سبيلها ٠

٢ — واما شخص متردد ، لم يستبن له وجه ، ولم يتعرف فى قولنا معنى الاخلاص والفائدة ، فهو متوقف متردد ٠ لهذا يوصيه حسن البنا : « بأن يتصل بنا عن كثب ، ويقرأ عنا من بعيد أو من قريب ، ويطالع كتاباتنا ، ويزور أنديتنا ، ويتعرف الى اخواننا ، فسيطمئن بعد ذلك لنا ان شاء الله » ٠

٣ — واما شخص نفعى ، لا يريد أن يبذل معونته الا اذا عرف ما يعود عليه من فائدة دنيوية ، وما يجر هذا البذل له من مغنم مادى ٠ فهذا ان كشف الله الغشاوة عن قلبه ، وأزاح كابوس الطمع عن فؤاده ؛ فسيعلم أن ما عند الله خير وأبقى ، وسينضم الى كتيبة الله ليجود بما معه من عرض الدنيا ، فينال ثواب الله فى العقبى ، وان كانت الأخرى فالله غنى عمن لا يرى لله الحق الأول فى نفسه وماله ودنياه وآخرته وموته وحياته ٠

٤ — واما شخص متحامل ، ساء فينا ظنه ، وأحاطت بنا شكوكه وريبه ، فهو لا يرانا الا بالمنظار الأسود القــاتم ، ولا يتحدث عنا الا بلسان المتحرج المتشكك •

فهذا ندعو الله لنا وله الهداية والرشد • وسنظل نحبه ونرجو فيئه الينا ، واقتناعه بدعوتنا ، وانما شعارنا معه ما أرشدنا اليه المصطفى — صلى الله عليه وسلم — : « اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون » •

بهذه الروح الطيبة السمحة ، وبهذا القلب الكبير ، وبهذا الأسلوب الكريم ، كان حسن البنا ينظر الى الناس فى المجتمع من حوله ، ويحدد موقفهم من دعوته ، وموقفه — بالتالى — منهم ، وهو موقف أبرز ما يعبر عنه كلمة « الاعتــدال » •





الاخوة والجماعة

ومن المعانى الأساسية التى ربى عليها الاخوان المسلمون : الأخوة والمحبة فى الله ، ولا غرو فاسمهم نفسه يحمل هذا المعنى « الاخوان » • وقد جعل الامام البنا « الأخوة » أحد أركان البيعة العشرة •• وفسرها بقوله : أن ترتبط القلوب والأرواح برباط القيدة ، والعقيدة أوثق الروابط وأعلاها ، الأخوة أخت الايمان ، والتفرق أخو الكفر ، وأقل القوة قوة الوحدة ، ولا وحدة بغير حب • أقل الحب سلامة الصدر ، وأعلاه مرتبة الايثار **« ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »**(١) والأخ الصادق يرى اخوانه أولى به من نفسه ، لأنه أن لم يكن بهم فلن يكون بغيرهم ، وهم ان لم يكونوا به كانوا بغيره ، وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية **« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض »**(٢) وهكذا يجب أن يكون ••

وسمعته مرة يقول : دعوتنا تقوم على أركان ثلاثة :

الفهم الدقيق ، والايمان العميق ، والحب الوثيق •

وكان رحمه الله فى حديثه الأسبوعى بالمركز العام للجماعة ،المسمى « حديث الثلاثاء » يبدؤه بمقدمة ترغيبية ، لتقوية أواصر الحب بين أعضاء الحركة ، مؤيدة بالنصوص ووقائع السلف الصالح يسميها « عاطفة الثلاثاء » •

ولقد عرف القاصى والدانى مقدار الترابط المتين الذى يربط الاخوان بعضهم ببعض ، فهم صورة ماثلة لما أراده الحديث النبوى : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » فهم فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم أشبه بأبناء الأسرة الواحدة ، بل بأعضاء الجسد الواحد •

---

(١) التغابن : ١٦ (٢) التوبة : ٧١

ولقد لاحظ أحد الصحافيين مدى الترابط الاخوانى فقال فى ذلك كلمة مشهورة : هؤلاء هم الجماعة الذين اذا عطس أحدهم فى الاسكندرية قال له من فى أسوان : يرحمك الله !

لقد أزالت التربية الاخوانية كل الحواجز ، وأسقطت كل الفوارق ، التى تفصل بين الناس ، قومية أو وطنية أو لغوية أو لونية أو طبقية ، ولم يبق الا اخوة الاسلام ، ونسب الاسلام .

أبى الاسلام لا أب لى سواه
اذا افتخروا بقيس أو تميم

وفى دور الاخوان ترى المهندس والعامل ، والطبيب والتمورجى ، والمدرس والفلاح ، وابن الذوات وابن البلد ، والشيخ والشاب ... وهكذا من كل الفئات ، وكل الأعمار ، ولا تجد بينهم الا الأخوة التى كانت قبل بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على تفاوت أجناسهم وألوانهم وأنسابهم وطبقاتهم ، وصدق الله العظيم : **« انما المؤمنون اخوة »**(١) .

ولقد كان المركز العام للاخوان فى القاهرة ملتقى عالميا ، وبوتقة تصهر فيها كل الجنسيات ، ولا يبقى الا رباط العروة الوثقى ، وكلمة التقوى ، كلمة الاسلام .

ففيه كنت ترى العربى والعجمى ، والافريقى والآسيوى ، والشامى ، والمغربى ، والأبيض والأسود ، والأصفر والأحمر ، جاءوا من مختلف الأوطان ، وحملوا شتى الجنسيات ، وتكلموا بمختلف اللغات ، وربما كان بين دولهم بعضها وبعض خصومات ونزعات ، ولكنهم هنا « اخوة أشقاء » فى « دار العائلة » ورمز الوحدة الاسلامية : دار الاخوان .

وكثير منهم من اندمج فى اخوانه المصريين حتى غدا واحدا منهم ، وان كان يحمل فى الأصل جنسية أفغانية أو عراقية أو هندية ، أو غيرها .

أذكر من هؤلاء الاخوة الأفاضل عبد الله العقيل ، وهارون المجددى ،

---

(١) الحجرات : ١٠

ومحمد مصطفى الأعظمى ، وقد دخل الأخيران السجن الحربى سنة ١٩٥٤ مع اخوانهم المصريين ، وذاقوا من العذاب بعض ما ذاقوه ، ولم تغن عنهم جنسياتهم أمام الطغيان الناصرى الرهيب •

وقد حدثنى الداعية الاسلامى الكبير ، الدكتور مصطفى السباعى — رحمه الله — أنه زار أوروبا للعلاج مما أصابه فى سنواته الأخيرة من الشلل ، فما يكاد ينزل من الطائرة فى بلد الا وجد شبابا من مختلف الجنسيات ينتظرونه ، وقد هيأوا له كل ما يريد ، وفوق ما يريد • يقول وهو يبكى : والله ما أعرف منهم أحدا ، ولا لقيتهم ولا لقونى من قبل • ولكنها أخوة العقيدة ، ورابطة الدعوة — لا حرمنا الله من بركاتها — جعلتنى أشعر كأنهم أصدقائى منذ سنين طويلة •

ولا ريب أن نعمة الأخوة فى الله ، والمحبة فى ذاته ، والارتباط على دينه ، من أعظم ما من الله به على عباده من الايمان • وهى ثمرة من ثمراته • قال تعالى يخاطب المؤمنين فى المدينة : « **واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته اخوانا** »(١) •

وخاطب رسوله ممتنا عليه بأخوة المؤمنين من حوله : « **هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين • وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ، انه عزيز حكيم** »(٢) •

وقد عرفت الحياة ، وعرف الناس أفرادا وجماعات كانت بينهم صحبة وصلة ومودة وألفة ، ولكنها كانت لدنيا ، فلم يكتب لها الدوام ، انما التقوا على شهوة حسية ، أو متعة مادية ، فلما قضوا الشهوة ، أو فرغوا من المنفعة أو يئسوا منها ، أصبح جمعهم شتاتا ، وربما أصبحت مودتهم خصومة وعداوة ، بخلاف الحب فى الله ولله ، فانه باق ما بقى وجه الله سبحانه ، ولهذا قيل : ما كان لله دام واتصل ، وما كان لغير الله انقطع وانفصل •

وأوثق ما كانت هذه الأخوة ، وأشد ما كانت قوة وفتوة ، فى أيام المحن وساعات الشدائد والفتن • التى تمتحن فيها العلاقات ، ويعرف

---

(١) آل عمران : ١٠٣ — (٢) الأنفال : ٦٢ ، ٦٣

فيها المحب المخلص من المداهن الكاذب ، كما قال الشاعر :

جزى الله الشدائد كل خير
عرفت بها عدوى من صديقى

وعن الامام على — رضى الله عنه — :

ولا خير فى ود امرىء متلون
اذا الريح مالت مال حيث تميل
جواد اذا استغنيت عن أخذ ماله
وعند زوال المال عنك بخيل
فما أكثر الاخوان حين تعدهم
ولكنهم فى النائبات قليل

ولقد أبرزت محن الاخوان المتلاحقة من ذلك العجب العجاب • فكم من رجال أكلت السياط (الكرابيج) من لحومهم حتى شبعت ، وشربت من دمائهم حتى ارتوت ، وهم صامتون لا يريدون أن يدلوا على اخوان لهم • وربما أدى طول صمتهم الى أن فاضت أرواحهم فى « زنازين » العذاب ، راضية قلوبهم ، حتى لا يؤذوا اخوانهم بسبب كلامهم •

وكم من شباب حملوا أنفسهم فوق ما يطيقون من العذاب ليبرئوا ساحة غيرهم ، ممن يعلمون أنه أكثر عيالا ، أو أقل احتمالا •

وكم من شباب كانوا خارج الاعتقال معافين لا يعرف عنهم أحد شيئا ، عز عليهم أن يتخلوا عن أسر اخوانهم بعد اعتقالهم ، فنظموا شبكة منهم لجمع تبرعات واشتراكات ، لارسال معونات دورية الى تلك البيوت التى فقدت عائلها ، فافتقرت بعد غنى ، وذلت بعد عز ، وبهذا عرضوا أنفسهم للملاحقة فالاعتقال فالتعذيب فالمحاكمة ، فالسجن المؤبد والمؤقت مع الأشغال •

ولم يمنع القبض على هؤلاء أن يظهر غيرهم من بعدهم ، فلم يكن سائغا بحال فى منطق الاخوان أن يتخلى الأخ عن أولاد أخيه فى محنته ، وليكن ما يكون ••

ولقد رأت زنازين السجن من معانى التعاون والايثار ما تضيق به الصفحات . فقد كانت الأطعمة والملابس — بعد فترة البحبحة — تأتى لبعض الموسرين ، فتوزع على من معه ومن حوله ، وقد يناله منها شيء كأحدهم ، وقد لا ينال .

ولا يعرف قيمة هذه الروح ، ونعمة هذه الأخوة ، الا من عرف كيف يعيش غير الاخوان فى سجونهم .

أذكر فى سنة ١٩٤٩ حين كنا فى معتقل هايكستب .. أن جماعة من الشيوعيين كانوا بجوارنا ، فكانوا يتشاجرون على أدنى شيء : يعيش كل منهم لنفسه فقط . ومن جاءه شيء فهو له ، وقد قسموا الحجرة التى ينامون فيها بالسنتيمتر . وكل واحد عليه تنظيف نصيبه ، لا يزيد ولا ينقص . ومع هذا لا تراهم الا متنازعين متخاصمين .





خاتمة

لا تحسبن أخى القارئ — أننى أزعم أن الاخوان المسلمين ملائكة مطهرون ، أو أنبياء معصومون . فالاخوان كغيرهم من الناس ، بشر عاديون ، يخطئون ويصيبون ، ويعثرون وينهضون ، وهم كسائر أبناء هذه الأمة المصطفاة التى أورثها الله الكتاب « **فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات باذن الله** »[1] .

ولا تعجب بعد هذا أن تجد بين الاخوان من لا يعرف من الاسلام الا اسمه ، ولا من القرآن الا رسمه ! وساعد على هذا ازدياد عدد المقبلين على الدعوة فى بعض الفترات ، وخاصة فى أوائل الخمسينات ازدياد فاق الطاقات التربوية التى تستطيع أن تستوعبه وتوجهه وتصهره فى البوتقة الاسلامية . ولم يكن فى وسع الجماعة رد من يقبل عليها ، وان كانت ترى فى سلوكه مالا يليق بالمسلم ، لأنها كانت تعتبر دورها « مستشفيات » للعلاج ، أو « ورشا » للتصليح ، يدخلها المكسر والمعوج ، ليخرج صالحا مستقيما .

ولا ننسى أن الحركات فى فترات ازدهارها واقبالها يدخلها كثير من الطامعين ومرضى القلوب ، الذين لا يريدون الا الدنيا ومظاهرها ، ممن يقولون آمنا بألسنتهم ، ولم تؤمن قلوبهم ، وهؤلاء لم تسلم منهم دعوة ، ولم يخل منهم مجتمع ، حتى مجتمع المدينة فى عصر النبوة .

فمن زعم أن مجتمع الاخوان مجتمع مبرأ من العيوب ، نظيف مائة فى المائة ، فقد جهل الاخوان ، وجهل الواقع ، وجهل التاريخ .

غاية ما نقوله : ان الاخوان المسلمين فى مجموعهم كانوا يمثلون الصفوة من أبناء هذه الأمة ، تحرر عقول ، وطهارة قلوب ، وزكاة أنفس ، واستقامة أخلاق ، ونظافة سلوك ، وحماسا لدين الله ، وحبا لخير الناس ، وغيرة على الاسلام ، وعملا على استعادة مجده ، وتحكيم شرعه ، وسيادة أمته .

---

(١) فاطر : ٣٢

بيد أننا نقول بجوار ذلك : ان الوسـائل والمناهج التى اتخذها الاخوان للتربية والتكوين منذ خمسين عاما ، قد آتت أكلها ، وأنتجت ثمراتها سنين عديدة ، ولكن آن الأوان لاعادة النظر فيها ، على ضوء الممارسة والتجربة الطويلة ، فقد تطعم أو تطور أو تغير .

وليس مضى نصف قرن من الزمان بالأمر الهين ، فقد تبدلت أوضاع ، وتجددت أفكار ، وتحولت قيم ، فى منطقتنا وفى العالم كله .

وليس من المعقول أن يبقى كل قديم على قدمه فى وسط عالم سريع التغير . والاسلام انما يعرف الثبات فى الأهداف والغايات ، ويعرف المرونة والتطور فى الوسائل والآلات .

«وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب »(١) .

* * *

(١) هود : ٨٨

محتويات الكتاب



كتب للمؤلف

	الكتاب	الطبعة	الناشر
١	الحلال والحرام فى الاسلام	ط حادى عشرة	مكتبة وهبة
٢	مشكلة الفقر وكيف عالجها الاسلام	ط ثانية	» »
٣	الايمان والحياة	ط خامسة	» »
٤	الخصائص العامة للاسلام	ط أولى	» »
٥	الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا	ط ثالثة	» »
٦	الحل الاسلامى فريضة وضرورة	ط ثانية	» »
٧	غير المسلمين فى المجتمع الاسلامى	ط أولى	» »
٨	الصبر فى القرآن الكريم	ط أولى	» »
٩	العبادة فى الاسلام	ط رابعة	مؤسسة الرسالة ببيروت
١٠	فقه الزكاة (فى مجلدين)	ط ثالثة	مؤسسة الرسالة ببيروت
١١	درس النكبة الثانية	ط ثالثة	
١٢	عالم وطاغية	ط ثالثة	
١٣	شريعة الاسلام	ط أولى	المكتب الاسلامى ببيروت
١٤	الناس والحق	ط ثالثة	المكتب الاسلامى ببيروت
١٥	ثقافة الداعية	ط أولى	مؤسسة الرسالة ببيروت
١٦	التربية الاسلامية ومدرسة حسن البنا	ط ثانية	مكتبة وهبة
١٧	وجود الله	ط أولى	» »
١٨	حقيقة التوحيد	ط أولى	» »
١٩	نساء مؤمنات	ط أولى	» »

كتب تالية

١ ـ هدى الاسلام
فتاوى وبحوث اسلامية متنوعة
تجيب عن كثير من تساؤلات المسلم المعاصر
٢ ـ شبهات المرتابين والمشككين فى الحل الاسلامى
٣ ـ أعداء الحل الاسلامى
٤ ـ أضواء على قضية التكفير
٥ ـ الفقه الاسلامى بين الأصالة والتجديد
٦ ـ معالم الاقتصاد الاسلامى
٧ ـ الفقه الميسر فى ضوء القرآن والسنة
٨ ـ عقائد الاسلام فى ضوء القرآن والسنة
٩ ـ أخلاق الاسلام فى ضوء القرآن والسنة

رقم الايداع بدار الكتب : ١٨١٠ ــ ١٩٧٩
الترقيم الدولى ٨ ــ ٧٦ ــ ٧٢٣٦

مطابع
دار التراث العربى
ت ٩٣٦١٤٥



